المعجزات: خرق لناموس الكون

أم لتصورات العقل؟!

دراسة في التوفيق العلمي لخوارق العادات

إعداد الدكتور

محمد محمود أحمد شعبان

مدرس العقيدة والفلسفة

كلية أصول الدين

جامعة الأزهر- فرع طنطا

المعجزات: خرق لناموس الكون أم لتصورات العقل؟! دراسة في التوفيق العلمي لخوارق العادات

محمد محمود أحمد شعبان.
قسم العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، طنطا، مصر.
البريد الإلكتروني: mohamedshaban.27@azhar.edu.eg

الملخص:

تحاول الدراسة معالجة التساؤلات الفلسفية حول طبيعة المعجزات، وهل تُعد انتهاكًا لنواميس الكون أم لتصوراتنا العقلية؟ كما تبحث في كيفية التوفيق بين خرق المعجزة للعادة وحفظ النظام الكوني، في ظل التشكيك الإلحادي بمعجزات الأنبياء وتساؤلاتهم عن غيابها في عصر العلم. وجاءت الدراسة في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، تتناول: مفهوم المعجزة وإمكانها، وأهم الانتقادات لحجيتها، وتقديم قراءة جديدة للتصور الكلامي لها، وإمكانية تفسيرها سببيا. ونوع خوارق العادات وعلاقته بتطور الحضارة الإنسانية. وتهدف الدراسة إلى استنطاق التراث الكلامي حول مسألة خوارق العادات لتقديم أجوبة على بعض تحديات العلوم التجريبية. وتستخدم الدراسة المناهج الاستقرائي، والوصفي، والتحليلي، والنقدي، والاسترادادي. وانتهت الدراسة لعدة نتائج أهمها: حُكْمُنَا بأن ظاهرة ما خارقة للعادة يعني أنها خارقة لتصورنا العقلي عن الكون، دون الجزم بأنها خارقة لناموس الكون نفسه. نصوص التراث الكلامي لا تمانع فهم معجزات الأنبياء كخرق لتصوراتنا العقلية دون خرق حقيقي لنواميس الكون، وهو ما يتوافق مع مبادئ العلوم التجريبية. تكرار الخوارق التي أتى بها الأنبياء، رغم إمكانيته عقلًا، يبقى صعب المنال عمليًا. تطور التجليات الإلهية عبر المعجزات يتناسب مع مستوى الإدراك الحضاري للبشرية، مما يعكس حكمة الله في مواكبة تطور الفكر البشري. وتوصي الدراسة بضرورة إجراء

دراسات لاستكشاف الحدود بين الإدراك البشري والحقائق الكونية لتحديد ما إذا كانت المعجزات خرقًا للنواميس أو لتصورات العقل. والاستفادة من التراث الفكري والعلمي للأزهر لتوليد أفكار معاصرة حول تفسير المعجزات، وتقديم خطاب ديني يتناسب مع تحديات الحداثة. وتصميم مناهج تعليمية تدمج الفلسفة والعلم والدين لتعزيز الفهم النقدي لدى الطلاب حول المعجزات والظواهر الخارقة.

الكلمات المفتاحية: المعجزة؛ الخوارق؛ ناموس الكون؛ التوفيق العلمي

Miracles: Are They a Breach of the Laws of the Universe or the Perceptions of the Mind?! A Study in Scientific Reconciliation of Extraordinary Phenomena

Mohamed Mahmoud Ahmed Shaban.

Department of Doctrine and Philosophy, Faculty of Islamic Theology and Da'wah, Al-Azhar University, Tanta Branch, Egypt.

Email: mohamedshaban.27@azhar.edu.eg

Abstract:

The study seeks to address philosophical questions regarding the nature of miracles: Are they violations of universal laws or merely of our mental perceptions? It also explores how to reconcile the disruption caused by miracles with the preservation of cosmic order, particularly in light of atheistic skepticism about prophetic miracles and their absence in the age of science. The study consists of an introduction, four sections, and a conclusion, covering the concept and possibility of miracles, major criticisms of their validity, a new theological interpretation, and the potential for causal explanation. It also examines the relationship between supernatural phenomena and the evolution of human civilization. The study aims to set up an inquiry to theological heritage to provide answers for challenges posed by empirical sciences. The study employs inductive, descriptive, analytical, critical, and retrieval methods. Key findings include: declaring a phenomenon as extraordinary means it exceeds our mental perception of the universe, without confirming it violates universal laws. Theological texts

allow for understanding prophetic miracles as violations of mental perceptions, not of natural laws, aligning with scientific principles. While the recurrence of miracles is logically possible, it remains practically elusive. The evolution of divine manifestations through miracles aligns with humanity's intellectual progress, reflecting God's wisdom. The study recommends further exploration of the boundaries between human perception and universal truths and utilizing Al-Azhar's intellectual legacy to generate contemporary ideas on interpreting miracles. It also suggests designing educational curricula that integrate philosophy, science, and religion to enhance students' critical understanding of miracles and supernatural phenomena.

Keywords: Miracle; Supernatural Phenomena; Laws of the Universe; Scientific Reconciliation.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وبعد:

فلما كانت المعجزة تمثل خَرْقًا للعادة، ومُخالَفةً لمألوف الناس؛ فقد تسببت عبر التاريخ في طرح العديد من الأسئلة والشكوك حول إمكان وقوعها أولا، وحول صلاحيتها في الدلالة على ثبوت النبوة وصدق الرسول آخرا. ومع اتساع مساحة الاكتشافات العلمية، ووصول العلماء التجريبيين إلى الكثير من القوانين العلمية التي تفسر الظواهر الكونية، وعلى الأخص تلك الظواهر التي كانت تفسَّر يوما ما تفسيرا ميتافيزيقيا، هنا رجعت مسألة المعجزة للصدارة، وطَرَح العلماء أسئلة كثيرة حولها، وحول علاقاتها بقوانين الطبيعة، ومن هذا المُنْطَلَق كانت هذه الدراسة التي أُقَدِّمُهَا تحت عنوان:

المعجزات خرق لناموس الكون أم لتصورات العقل؟! دراسة في التوفيق العلمي لخوارق العادات

أهمية الموضوع وسبب اختياره: تكتسب الدراسة أهميتها من ثلاث جهات:

- ✓ الأولى: من أهمية المعجزة من حيث دلالاتُها على ثبوت النبوة وصدق الرسول.
- ✓ الثانية: من خطورة التحديات التي تواجه تصوراتنا لخوارق العادات في ظل تطورات العلوم التجريبية وما أنتجته من قوانين مفسِّرة لناموس الكون.
- ✓ الثالثة: من خطورة التوظيف السلبي لخوارق العادات في الحضارة، من حيث تبرير الجهل، والكسل، وترك السعي والأخذ بالأسباب.

الهدف من الدراسة:

لا تهدف الدراسة إلى بحث سؤال: هل وقعت الخوارق الحسية للأنبياء أو لا؟ فلا تبحث- مثلا - هل نبع الماء من بين أصابع النبي- ﷺ أو لا؟ فوقوع ذلك ثابت بالنص الصحيح، والإيمان به واجب، ولكن تهدف إلى استنطاق التراث حول مسألة خوارق العادات، كمحاولة لتقديم أجوبة عقلانية على بعض تحديات العلوم التجريبية، وذلك عبر طرح العديد من الأسئلة، أهمها: هل المعجزات خرق لناموس الكون أو خرق لتصوراتنا العقلية؟ هل يصح في المعجزة الدالة على صدق الرسول أن تكون بداية لعادة كونية جديدة، أو تكرارًا لعادة كونية متباعدة؟ هل تتقبل العلوم التجريبية إمكان حدوث الظواهر الخارقة؟ وهل يمكن الجمع بين خرق للعادة، وحفظ النظام الكوني دون أي انتهاك؟ لا سيما وأن الدعوات الإلحادية توظف التطور في العلوم التجريبية للتشكيك في معجزات الأنبياء، وتطرح أسئلة مريبة من قَبِيل: لماذا لا تقع المعجزات الآن في عصر العلم؟!

تقسيمات الدراسة: جاءت الدراسة في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة

- أما المقدمة: فتناولت أهمية الموضوع، وهدفه، وسبب اختياره، ومنهجه، وتقسيماته.
- أما المبحث الأول فعنوانه: المعجزة، مفهومها وإمكانها، وأهم الانتقادات لحجيتها
- أما المبحث الثاني فعنوانه: المعجزات قراءة جديدة للتصور الكلامي.
- أما المبحث الثالث فعنوانه: الظواهر الخارقة وإمكانية التفسير السببي والموافقة لقوانين الطبيعة.
- أما المبحث الرابع فعنوانه: خوارق العادات وأطوار الحضارة الإنسانية.
- أما الخاتمة: فتتضمن أهم النتائج والتصويات.

منهج الدراسة: تستخدم الدراسة المنهج الوصفي من خلال عرض الآراء بموضوعية، والمنهج التحليلي عبر تفكيك الآراء إلى قضاياها الجزئية، والمنهج النقدي لتقييم الأدلة، والمنهج الاسترادادي لاستعادة الآراء التراثية المناسبة. من خلال منهج تكاملي تستفيد منه الدراسة في كافة مباحثها.

وأخيرا: أرجو الله –تعالى– أن أكون قد وُفِّقْتُ في معالجة قضايا البحث، معالجة تليق بعظمة الدين، وقيمة الاعتقاد، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

المعجزة، مفهومها وإمكانها، وأهم الانتقادات لحجيتها

المسألة الأولى: تعريف المعجزة:

المعجزة في اللغة اسم فاعل من العجز وهو الضعف... والمعجزة: واحد معجزات الأنبياء، وأعجز الشيء أي فاته، عاجز فلان إذا ذهب فلم يوصل إليه(١).

أما المعجزة في الاصطلاح، فقد تعددت عبارات المتكلمين والفلاسفة في تعريفها، وقد دل كل تعريف على طبيعة الموقف منها، وفيما يلي ترصد الدراسة أهم هذه التعريفات:

- القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥هـ): "المعجزة هي الفعل الذي يدل على صدق المدعي للنبوة ... وهو أن البشر يعجزون عن الإتيان بما هذا سبيله فصار كأنه أعجزهم"(٢).
- الإمام الجويني (ت ٤٧٨هـ): «المعجز على الحقيقة: خلق العجز، ولكنها سميت بذلك؛ لأنه يظهر أنه من ليس نبيا، يعجز عن الإتيان بما يظهره الله عز وجل على النبي»(٣).
- الإمام الرازي (ت٦٠٦ هـ) والسعد التفتازاني (ت ٧٩٢هـ): «المعجزة في العرف أمر خارق لِلْعَادَة مقرون بالتحدي مَعَ عدم الْمُعَارضَة»(٤).

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، جـ٣، صـ ٨٨٣-٨٨٤، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين.

(٢) الاصول الخمسة: القاضي عبد الجبار، صـ ٥٦٨، تعليق: أحمد بن أبي هاشم، تحقيق: د. عبد الكريم عثمان، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م، مكتبة الناشر، مصر.

(٣) العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية: الإمام الجويني (ص: ٢١٨)، تحقيق: محمد الزبيدي، دار سبيل الرشاد، بيروت.

(٤) تلخيص المحصل: الخواجة نصير الدين الطوسي، (ص: ٣٥٠) الطبعة الثانية، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٥م. وشرح المقاصد في علم الكلام: سعد الدين التفتازاني (٢/ ١٧٦)، ط.١، دار المعارف النعمانية، باكستان، ١٩٨١م.

- ابن حمدان الحنبلي (ت ٦٩٥هـ): "المعجزة هي ما خرق العادة من قول أو فعل إذا وافق دعوى الرسالة وقارنها وطابقها على جهة التحدي ابتداء بحيث لا يقدر أحد عليها ولا على مثلها، ولا على ما يقاربها"(١).
- ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ): «المعجزة أفعال يعجز البشر عن مثلها فسميت بذلك معجزة، وليست من جنس مقدور العباد، وإنما تقع في غير محل قدرتهم»(٢).
- السيد الشريف علي الجرجاني (ت ٨١٦ هـ): «المعجزة عندنا ما يقصد به تصديق مدعي الرسالة وإن لم يكن خارقا للعادة»(٣).
- توما الإكويني (ت١٢٧٤م): المعجزة «أمر له عِلَّة مجهولة للجميع ... هذه العلة هي الله، والغاية من المعجزة، بوصفها تدخل خاصة من الله يغير في حالة جزئية معينة المجرى العادي للأمور، هي تحقيق غرض معين يريده الله لتأييد دعوى إيمانية»(٤).
- جون لوك (ت ١٧٠٤م): «المعجزة عملية محسوسة...فوق فهم المشاهد، مضادة للمجرى المقرر للطبيعة»(٥).

---

(١) نهاية المبتدئين في أصول الدين: أحمد بن حمدان الحنبلي، صـ٥٩، تحقيق: نصار بن سعود بن عبد الله السلامة، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٤م.

(٢) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر «مقدمة ابن خلدون»: عبد الرحمن بن خلدون، (١/ ١١٧)، تحقيق: خليل شحادة، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨ م.

(٣) شرح المواقف: السيد الشريف الجراجي (٣/ ٣٦٧)، الطبعة الأولى، دار الجليل، لبنان، ١٩٩٧م.

(٤) موسوعة الفلسفة: عبد الرحمن بدوي (٢/ ٤٤٩)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط.١، بيروت، ١٩٨٤م. وانظر القديس: الخلاصة اللاهوتية: توما الإكويني، ترجمة الخوري بولس عواد، جـ ٣، صـ ١٦، المطبعة الأدبية – بيروت –١٨٦١م.

(٥) موسوعة الفلسفة: عبد الرحمن بدوي (٢/ ٤٤٩)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط.١، بيروت، ١٩٨٤م. وراجع:

Earman, John, 'John Locke, "A Discourse of Miracles" (1706)', Hume's Abject Failure: The Argument Against Miracles (New York, 2000; online edn, Oxford Academic, 1 Nov. 2003), https://doi.org/10.1093/0195127382.003.0027, accessed 4 Sept. 2024.

تعقيب:

تعريفات العلماء والفلاسفة للمعجزة؛ تُظهر تبايناً في فهم طبيعتها، وفيما يلي رصد لأهم مظاهر الاتفاق والاختلاف حولها:

أولا: تتفق كل التعريفات على أن المعجزة تهدف إلى إثبات النبوة وتصديق الرسول فالقاضي عبد الجبار مثلا يعرّف المعجزة بأنها: "الفعل الذي يدل على صدق المدعي للنبوة"، وهي فكرة يشترك فيها مع ابن خلدون والسيد الشريف الجرجاني. كما يشارك فيها «توما الإكويني» و«جون لوك»، اللذان يمثلان الفكر المسيحي والفلسفي الغربي. كما أن كل التعريفات السابقة تؤكد في العموم على ضرورة تحقق العجز البشري عن الإتيان بما يشبه المعجزة؛ فالإمام الجويني يرى أن المعجزة تكمن في خلق العجز، وهو ما يشترك فيه مع تعريف القاضي عبد الجبار الذي يركز على عدم قدرة البشر على تقليد الفعل المعجز. حتى جون لوك يركز على أن المعجزة "فوق فهم المشاهد"، مما يعني أنها تتجاوز قدرات البشر على التفسير.

ثانيا: تبرز التعريفات السابقة الاختلاف الفلسفي حول طبيعة المعجزة، فإذا كان الإمامان الرازي والتفتازاني يركزان على خرق العادة، فإن السيد الشريف الجرجاني يتبنى مفهومًا أوسع للمعجزة يشمل الأمور التي لا تخرق العادة، طالما أن الهدف منها هو تصديق دعوى الرسالة. وهذا التصور المختلف يعكس تطورًا في الفكر الكلامي، حيث تتنوع مفاهيم المعجزة بين الحصر في خرق العادة وتوسيع الفهم ليشمل تصديقات غير خارقة لناموس الكون.

ورغم ذلك فإن التعريفات لم تقدم لنا إجابة كاملة على العديد من الأسئلة الشائكة مثل: ما المقصود بالعادة؟ هل هي عادة البشر، أم عادة الأشياء أم عادة الناس؟ وهل المعجزة مجرد مخالفة لمعتاد البشر؟ أم خرق لقانون الطبيعة

الحتمي -كما ذكر جون لوك -؟ وهل الاعجاز الدال على ثبوت النبوة إعجازا عاما لجميع البشر، في كل زمان ومكان، أم أن تحقيق الإعجاز للبعض يؤدي الغرض؟ هل المعجزة داخلة في جنس مقدور الإنسان[١] أو لا[٢] -كما ذكر ابن خلدون-؟ وهل هي محصورة في الإعجاز الحسي -كما ذكر جون لوك- أم تَضمُ الإعجاز المعنوي والعقلي أيضا؟ هل هي قابلة للتفسير أم هي فوق أفهام البشر؟ وكلها بطبيعة الحال أسئلة أعمق من أن تحسمها مجرد التعريفات الأَوَّلية.

المسألة الثانية: إمكان التدخل الإلهي بالمعجزات وخرق العادات:

«القدرة» صفة ثابتة لله تعالى، وهي صفة وجودية قائمة بذات الله تعالى يتأتى بها إيجاد الممكن وإعدامه، والإيجاد: هو إخراج الأمر الممكن من العدم إلى حيِّز الوجود. والإعدام: هو سلب صفة الوجود عن الممكن[٣]. وذكر بعض العلماء أن صفة القدرة أصل يعود إليه العديد من أسماء الله تعالى. ذكر الإمام البيهقي أن: «من أسامي صفات الذات ما يعود إلى القدرة: منها «القاهر» ومعناه الغالب، ومنها «القهار» ومعناه الذي لا يقصد إلا ويغلب، ومنها «القوي» ومعناه المتمكن من كل مراد، ومنها «المقتدر» ومعناه الذي لا يرده شيء عن المراد، ومنها «القادر» ومعناه إثبات القدرة، ومنها «ذو القوة المتين» ومعناه: نفي النهاية في القدرة وتعميم المقدورات»[٤].

---

(١) يعني الأمور التي يستطيع البشر القيام بها، لكن النبي أو الرسول يقوم بها بشكل خارق للعادة، يفوق قدرة البشر العادية. مثل إبراء المريض.

(٢) يعني الأمور التي لا يستطيع البشر القيام بها على الإطلاق. مثل: نطق الشجرة، وكلام الحيوان.

(٣) راجع حاشية الدسوقي على أم البراهين: لشيخ محمد الدسوقي المالكي، (ص: ٩٩) مطبعة عيسى بابلي الحلبي.

(٤) الأسماء والصفات: الإمام البيهقي (١/ ٣١٤)، تحقيق: عبد الله الحاشدي، ط.١، مكتبة السوادي، جدة.

فقدرة الله تعالى المطلقة تتجلى في خَلْقِه للقانون الطبيعي الذي يحكم الكون منذ بداية الخلق بنظام دقيق، يعكس حكمة إلهية لا متناهية، تجعل من الله – تعالى– المصدر الأوحد لكل ما هو موجود. وهذه القدرة الإلهية المطلَقة تحكم بإمكان التدخل الإلهي بالمعجزات وخرق العادات؛ لتعطيل هذا النظام أو خرقه متى شاء الله تعالى، وفي أي موضع شاء، لا غرابة في ذلك.

هذا ولما كان اتصال الأرض بالسماء عن طريق الوحي والنبوة، أمر خارق للعادة، صار دليلها من جنسها، خارقا للعادة مثلها، وهكذا اعتبر أكثر العلماء أن المعجزة هي دليل ثبوت النبوة الأهم، قال الجويني: «لا يمكن نصب دليل على النبوة سوى المعجزة»(١)، وقال: «ثبوت النبوة لا يتوقف على نظر النظار، بل إنما تثبت النبوة بالمعجزات»(٢)، وقال الطاهر بن عاشور: «خرق العادة من خالق العادات وناظم سنن الأكوان قائم مقام قوله: صدق هذا الرسول فيما أخبر به عني»(٣).

أما عن وجه دلالة المعجزة الخارقة للعادة على صدق الرسول، فقد اتفق المتكلمون على أن دلالتها على صدق الرسول ليست سمعية، لأن «الأدلة السّمعية متوقّفة على صدق الرسول، فلو توقّف صدق الرسول عليها لكان دورا»(٤)، والمتكلمون وإن اتفقوا في ذلك فقد اختلفوا في طبيعة دلالتها على ثبوت النبوة وتصديق الرسول، إلى ثلاثة أقوال:

---

(١) شرح المقاصد في علم الكلام للتفتازاني (٢/ ١٧٩).

(٢) الشامل في أصول الدين: الإمام الجويني، تحقيق: علي سامي النشار، فيصل بدير عون، سهير محمد مختار (ص: ١١٩)، د.ط. منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٦٩م.

(٣) التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور (٢٣/ ٩٧)، د.ط، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م.

(٤) أبكار الأفكار في أصول الدين (٤/ ٢٥).

القول الأول: دلالة المعجزة على صدق الرسول دلالة عقلية. وهو قول نسبه السنوسي واللقاني للأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني[١] وحجته في ذلك أن «خلق الله تعالى لهذا الخارق على وفق دعواه-يعني دعوى الرسول- وتحديه مع العجز عن معارضته، وتخصيصه بذلك يدل على إرادة الله تعالى لتصديقه كما يدل اختصاص الفعل بالوقت المعين، والمحل المعين على إرادته تعالى لذلك بالضرورة»[٢]. أما الإمام «الأشعري» والقاضي «الباقلاني» وأكثر محققي الأشاعرة فيحكي الإمام «الآمدي» عنهم أنهم ينكرون أن يكون وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول عقلي، ذلك أن« ما دلّ عقلا فيدلّ لنفسه ويرتبط بمدلوله لذاته، ولا يجوز تقديره غير دال، وذلك كدلالة الفعل على الفاعل، ودلالة الفعل المحكم على علم فاعله، إلى غير ذلك من الأدلة العقلية. ودلالة المعجزة على صدق المدّعى للرّسالة ليست كذلك، وإلا لما تصوّر وجودها إلا وهي دالّة على صدق الرسول وليس كذلك. فإنه يجوز خرق العوائد عند تصرم الدنيا: كانفطار السماوات، وانتثار الكواكب، وتبدّل الأرض غير الأرض. إلى غير ذلك مع عدم دلالتها على تصديق مدّعى النّبوة فإنّه لا إرسال ولا رسول في ذلك الوقت، وكذلك ظهور الكرامات على أيدي الأولياء» [٣].

القول الثاني: دلالة المعجزة على صدق الرسول دلالة وضعية: يذكر الإمام الآمدي أن المعجزة من حيث وضعها في الدلالة على صدق الرسول على قسمين:

---

(١) حواش في شرح الكبرى للسنوسي (١/ ٤٥٦)، وعمدة المريد شرح جوهرة التوحيد وهو الشرح الكبير للناظم الإمام برهان الدين أبي الأمداد إبراهيم اللقاني التمتوفى ١٠٤١ هـ (٢/ ٩٥٩).

(٢) حواش في شرح الكبرى للسنوسي (١/ ٤٥٦).

(٣) أبكار الأفكار في أصول الدين (٤/ ٢٥).

-**الأول:** ما يعلم بصريح المقال، كما لو قال القائل للمخاطبين: (إذا رأيتموني أفعل كذا على كذا عند ادّعاء زيد مثلا أنه رسول عنّى فاعلموا أنّني أقصد بذلك تصديقه في دعواه) فبتقدير تحقّق ذلك منه عند دعوى زيد أنه رسول عنه مع العلم بانتفاء الغفلة، والذهول عنه فيما يفعله، وانتفاء قرائن الهزل عنه فإن فعله مع المواضعة السابقة منه يتنزّل منزلة قوله صَدَقَ.

-**الثاني:** ما يعرف بقرائن الأحوال، كما لو عنّ أمر عظيم وخطب جسيم يتعلق بتشويش دولة بعض الملوك ... فأمر بجمع النّاس ... وجلس على سرير مملكته. والناس محتفون بخدمته، واستفراغ الوسع في دفع ذلك الخطب الملم، وتضافرت قرائن الجد، وانتفاء الهزل، فلو قام واحد وقال أيها الناس: إني رسول هذا الملك إليكم في كذا، وهو بمرأى منه، وآيتي صدقي أنى إذا قلت له قم ثلاث مرات، واقعد وخالف المألوف من عادتك؛ فعل ذلك، ولو أراد ذلك أحدكم لما وجد إليه سبيلا. فبتقدير وقوع ذلك من الملك عقيب قوله ذلك يتنزل منزلة قوله: «صدق»، ويضطر كل أحد من الحاضرين إلى العلم بذلك، وإن لم يسبق من الملك ذلك[١].

يذكر الشيخ محمد بن عرفة الدسوقي المالكي أن الإمام السنوسي يميل إلى القول بالدلالة الوضعية، يقول: «لما جعل المصنف المعجزة مُنزلة منزلة القول: "صدق عبدي" أفاد أن دلالة المعجزة على صدق الرسول وضعية، أي أن الله وضع المعجزة للدلالة على الصدق كوضع – لفظة – صدق عبدي للدلالة عليه»[٢].

لكن كيف يمكننا أن نعرف أن المعجزة نازلة منزلة قول الله تعالى: «صدق عبدي فيما بلغ عني»؟! إن كان بالسمع فلا يصح لما سبق، وإن كان

(١) راجع أبكار الأفكار في أصول الدين (٤/ ٢٥).

(٢) حاشية الدسوقي على ام البراهين (ص: ١٧٦).

بالعقل، فقد عاد القول بالوضع إلى القول بالعقل، ومن ثم فيقع عليه ما سبق من اعتراضات. وهذا ما لاحظه تقي الدين المقترح عندما قرر أن «هذين الرأيين- يعني قسمي الدلالة الوضعية- يرجعان إلى قول واحد، وهو أن الدلالة عقلية»(١).

القول الثالث: دلالة المعجزة على صدق الرسول دلالة عادية:

وهو مذهب جمهور السادة الأشاعرة، يقول السيد الشريف الجرجاني في شرحه على المواقف: «وهي عندنا -أي الأشاعرة- إجراء الله عادته بخلق العلم بالصدق عقيبه -أي عقيب ظهور المعجزة- فإن إظهار المعجز على يد الكاذب وإن كان ممكنا عقلا فمعلوم انتفاؤه عادة -فدلالتها- عادية كسائر العاديات لأن من قال أنا نبي ثم نتق الجبل وأوقفه على رؤوسهم وقال إن كذبتموني وقع عليكم وإن صدقتموني انصرف عنكم فكلما هموا بتصديقه بعد عنهم وإذا هموا بتكذيبه قرب منهم علم بالضرورة أنه صادق في دعواه والعادة قاضية بامتناع ذلك من الكاذب مع كونه ممكنا عنه إمكانا عقليا لشمول قدرته تعالى للممكنات بأسرها»(٢).

تعقيب:

-ثمرة الخلاف حول دلالة المعجزة ليست عظيمة بالقدر الكافي. فإيمان المسلم بالنبوة متحقق بعد التسليم بوقوع المعجزات، والإيمان بدلالتها على صدق الرسول، ولن يضره بعد ذلك إن كانت دلالة المعجزة على صدق الرسول «عقلية أو وضعية أو عادية».

-من ناحية منطقية مجردة فإن الدراسة تُرجح مذهب السادة الأشاعرة من أن دلالة المعجزة على صدق الرسول دلالة عادية؛ ذلك أنه إذا كانت دلالة عقلية

(١) حواش في شرح الكبرى للسنوسي (١/ ٤٥٦).
(٢) شرح المواقف (٣/ ٣٤٨).

فيجب أن تكون المعجزة متلازمة مع دعوى النبوة وجودا وعدما، كالتلازم الواقع بين الزوجية للأربعة، والفردية للثلاثة. لكن هذا التلازم منتف كما ذكر السادة الأشاعرة، إذ قد تحصل المعجزة من غير أن يكون هناك ادعاء للنبوة، كوقوعها بعد موت البشر، أو وقوعها ككرامات، وإعانات.

ولأهمية المعجزة اعتنى العلماء بتأكيد إمكانها، ودفع الشبهات عنها، وأكدوا في هذا الموضع على العديد من الحقائق أهمها:

أولا: القدرة لا تتعلق بالمستحيل، بل تتعلق بالممكن ؛ لأن «معنى القدرة يقتضي التأثير في الممكن الذي لا يجب وجوده ولا عدمه لذاته، فوجوده ممكن وعدمه ممكن، فهذا الممكن قد تتعلق القدرة بوجوده فيوجد كالسموات والأرض وما بينهما... وقد تتعلق القدرة بعدم وجوده فلا يوجد، كأن يكون للإنسان جناحان يطير بهما، فهذا ممكن لكن قدرة الله تعالى أبقته في حيز العدم »[١]، أما الواجب لذاته، والمستحيل لذاته فلا تعلق للقدرة بهما «لأن الواجب لو توقف وجوده على تعلق القدرة لما كان واجبا بل يكون جائزا ... وذلك مثل كون كل الشيء أكبر من بعضه وكون الجسم يشغل حيِّزا من الفراغ. وكذلك المستحيل لذاته لا تتعلق به القدرة؛ لأن المستحيل ما لا يتصور العقل وجوده، وما لا يتصور العقل وجوده لو أمكن وجوده لما كان مستحيلا بل جائزا»[٢].

ولما كانت المعجزة –عند أهل السنة– فعلا لله، فالكلام فيها، فرع عن الكلام في القدرة، بالتالي فلا تتعلق المعجزة بالواجب، ولا بالمستحيل لذاته، يقول الإمام محمد عبده: «إن الخوارق الجائزة عقلا، أي التي ليس فيها اجتماع

---

(١) المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد: نوح سلمان القضاة (ص: ٨١)، ط.١، دار الرازي، الأردن، ١٩٩٩م.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة (ص: ٨١).

النقيضين، ولا ارتفاعهما؛ لا مانع من وقوعها بقدرة الله – تعالى – في يد نبي من الأنبياء »[١]، ويقول أيضا: «المعجزة لَيست من نوع المستحيل عقلا فَإِن مُخَالفَة السّير الطبيعى الْمَعْرُوف فى الإيجاد مِمَّا لم يقم دَلِيل على استحالته بل ذَلِك مِمَّا يَقع»[٢] يعني في الواقع والمشاهدة، إذا فالتدخل الإلهي بالمعجزات لا يكون بخرق قوانين العقل الضرورية كخرق قانون الهوية[٣]، وعدم التناقض[٤]، والثالث المرفوع[٥].

ثانيا: يؤكد أكثر علماء الكلام أن «خوارق العادات أمور ممكنة في نفسها ممتنعة في العادة بمعنى أنها لم تجر العادة بوقوعها، كانقلاب العصا حية، فإمكانها ضروري»[٦]، ويقول الشيخ البوطي: «استمرار الظواهر الطبيعية على نسقها المألوف الذي نراه ليس شيئا ضروريا يفرضه العقل فرضا، وإنما هو مما نسجته العادة وتَكَوَّنَ بفعل الأسباب الجعلية. وما يلحق هذه الخوارق من التعجب منها أو الاستنكار لها إنما هو بسبب غرابتها عن المشاهدة والمألوف»[٧].

---

(١) تفسير المنار: الشيخ محمد عبده، والشيخ رشيد رضا (١/ ٢٦١)، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

(٢) التوحيد: الشيخ محمد عبده (ص: ٤٥)، د.ط، دار الكتاب العربي، د.ن.

(٣) ويعني أن "حقائق الأشياء ثابتة لا تتغير فلا يحكم بحقيقة شيء على شيء آخر" د. محمد ربيع الجوهري: ضوابط الفكر صـــ١٤ مكتبة الإيمان، القاهرة، الطبعة الخامسة، ٢٠١٢مـــ.

(٤) ويعني أنه: "لا يثبت للشيء الواحد حقيقة أو صفة وضدها أو نقيضها في آن واحد فالجمع بين النقيضين أو الضدين محال" د. محمد ربيع الجوهري: ضوابط الفكر صـــ ١٤

(٥) ويعني "استحالة ارتفاع النقيضين، فالحكم على أحدهما بالصدق يقتضي الحكم بالخطأ على الآخر فلا يرتفع الصدق والخطأ معا" د. محمد ربيع الجوهري: ضوابط الفكر صـــ ١٤.

(٦) عون المريد لشرح جوهرة التوحيد في عقيدة أهل السنة والجماعة (ص: ٧٩٦).

(٧) كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق (ص: ٢١٤) د.ط. دار الفكر المعاصر ودار الفكر، بيروت–دمشق، د.ن.

ثالثا: ذكر العديد من العلماء أن إمكان خرق العادة بالمعجزات ثابت بالمشاهدة والواقع، يقول صاحب المواقف: «إن خرق العادة ... عادةٌ مستمرةٌ، توجد في كل عصر وأوان، فلا يمكن للعاقل المنصف إنكاره»(١)، ويقول الشيخ محمد عبده: «مُخَالفَة السّير الطبيعى الْمَعْرُوف فى الإيجاد ...مِمَّا يَقع، كَمَا يُشَاهد فى حَال الْمَرِيض يمْتَنع عَن الْأكل مُدَّة لَو لم يَأْكُل فِيهَا وَهُوَ صَحِيح لَمَاتَ مَعَ وجود الْعلَّة الَّتِى تزيد الضعْف وتساعد الْجُوع على الْإِتْلَاف»(٢).

رابعا: ذكر العديد من العلماء أن إمكان المعجزة، يظهر بوضوح إذا قسنا «خرق» العادة، على «خلق العادة» يقول صاحب المواقف «إن خرق العادات ليس أعجب من أول خلق السموات والأرض وما بينهما»(٣).

خلاصة الأمر: أنه إذا كانت قدرة الله تعالى أوجدت النظام، وأحكمت نواميسه، بخلق ترابط بين موجودات وظواهر الكون، فإنها قادرة أيضا على تعطيل أو خرق هذه القوانين متى شاء الله. وخرق العادة بالمعجزة، ممكن عقلا بالقياس إلى قدرة الله، وممكن شرعا، لكن فرق بين الإمكان وبين التحقق والوقوع، فإذا تعلقت الإرادة بالوقوع وقع، وإذا تعلقت بعدم الوقوع لم يقع. وعدم وقوعه ليس قدحا في القدرة الإلهية!

المسألة الثالثة: حجية المعجزة، وتحديات التحقق، والثبوت، والدلالة:

رغم عناية المتكلمين بمسألة المعجزة، واعتبارها الدليل الأهم لإثبات النبوة، إلا أن التراث الإسلامي، والاجتهادات الحديثة تضمنت العديد من التحديات والانتقادات لها من حيث حجيتها، وثبوتها، وآثارها، ودلالتها على صدق الرسول، وهذا ما سترصده الدراسة فيما يلي:

---

(١) شرح المواقف (٣/ ٣٦٧).

(٢) التوحيد: للشيخ محمد عبده (ص: ٤٥).

(٣) شرح المواقف (٣/ ٣٥٤).

أولا: تحدث القاضي عضد الدين الإيجي عن طائفة قالت بامتناع المعجزة، بزعمهم أن تجويزها يفقدنا الثقة في العقل والحس، ومدركاتهما، ويؤول بنا إلى التخبُّط والضلال وعدم الوصول إلى حق أو يقين، يقول: «الطَّائِفَة الرَّابِعَة ..قالت: ... تَجْوِيز خرق الْعَادة سفسطة، وَلَو جوزناه لجَاز إنقلاب الْجَبَل ذَهَبا وَمَاء الْبَحْر دَمًا ودهنا وأواني الْبَيْت رجَالًا ... وتولد هَذَا الشَّيْخ دفْعَة بِلَا أَب وَأم وَلَو جوزناه لجَاز ... كَون من ظَهرت المعجزة على يَديه غير من ادّعى النُّبُوَّة؛ بِأَن يعْدم الْمُدَّعِي عقيب دَعْوَاهُ بِلَا مهلة وَيُوجد مثله فِي آن إعدامه؛ فَيكون ظُهُور المعجزة على يَد الْمثل وَلَا يخفى مَا فِيهِ –أَي فِي تَجْوِيز خرق الْعَادة– من الْخبط والإخلال بالقواعد الْمُتَعَلّقَة بِالنُّبُوَّةِ وَغَيرهَا»[1]. **وهذا الادعاء زاد ترديده حديثا، فصرنا نسمع أن** الإيمان بالخوارق يتناقض جذريًا مع مبادئ العلوم الطبيعية، مثل مبدأ السببية الذي يعتبر أن لكل ظاهرة سببًا طبيعيًا يمكن تفسيره ضمن إطار القوانين الفيزيائية والكيميائية. بينما الإيمان بالمعجزات يعارض هذا المبدأ حيث تفترض حدوث الظواهر الغريبة دون سبب طبيعي أو مادي معروف. مما يتعارض مع أسس التفكير العلمي.

ثانيا: ذكر القاضي عضد الدين الإيجي أن بعض الطوائف المنكرين لخرق العادة، ذكروا أنه على فرض التسليم بوقوع الخوارق، فإن دلالتها على صدق الرسول تحوم حولها الشبهات، بسبب تعدد الاحتمالات فيمن تُنسَب إليه، من أهم هذه الاحتمالات ما ذكروه من أن «كَونه –يعني الخارق– مِنْ فِعْلِهِ– مَنْ ظهرت علي يديه المعجزة– لَا مِنْ فِعْلِ الله فَلَا يكون نازلا منزلَة التَّصْدِيق لَهُ من الله، وَإِنَّمَا جَازَ كَون المعجز فعلا لَهُ مَعَ كَون غَيره عَاجِزا عَنهُ؛ إِمَّا لمُخَالفَة نَفسه لسَائِر النُّفُوس البشرية فِي الْمَاهِيّة كَمَا ذهب إِلَيْهِ جمَاعَة فَيجوز حِينَئِذٍ أَن يصدر عَن بَعْضهَا مَا لَا يقدر عَلَيْهِ بعض آخر مِنْهَا، أَو لمزاج خَاص فِي بدنه

(١)شرح المواقف (٣/ ٣٦٦).

هُوَ أقوى من أمزجة أقرانه فيقوى بِهِ على فعل يعجز عَنهُ غَيره وَإِن توافقا فِي الْمَاهِيّة، أَو لكَونه ساحرا ماهرا فِي السحر ....، أَو لطلسم(١) اخْتصَّ هُوَ بمعرفته ...، أَو لخاصية بعض المركبات إِذْ لَا شكّ أَن المركبات العنصرية لَهَا خَواص تستتبع آثارا عَجِيبَة كالمغناطيس الجاذب للحديد والكهرباء الَّتِي تجذب التِّبْن وكالحجر الباغض للخل فَإِنَّهُ إِذا أرسل على إِنَاء فِيهِ خل لم ينزل بل ينحرف عَنهُ حَتَّى يسْقط خَارِجا عَن الْإِنَاء وكالحجر الجالب للمطر وَهُوَ مَشْهُور فِيمَا بَين الأتراك فَجَاز أَن يكون ذَلِك الخارق الَّذِي ظهر على يَد الْمُدَّعِي تَابعا لخاصية بعض المركبات وَيكون هُوَ عَالما بذلك النَّوْع من التَّرْكِيب دون غَيره»(٢)، ومن هذه الاحتمالات التي ذكروها أيضا القول باحتمال «استناد المعجز إِلَى بعض الْمَلَائِكَة ... فَلَعَلَّ مَلَكًا أظهر مَا يعجز عَنهُ الْبشر على يَد المتنبىء ليغوي النَّاس، وَأما عصمَة الْمَلَائِكَة فَإِنَّمَا تُعْلَم بقول النَّبِي فَلَا يُمكن أَن يتَمَسَّك بهَا هَهُنَا، أَو الشَّيَاطِين فَإِنَّهَا مَوْجُودَة عنْدكُمْ قادرة على أَفعَال خارقة، أَو استناده إِلَى الاتصالات الكوكبية ... من الحركات الفلكية وَهُوَ –أَي مدعي النُّبُوَّة– قد أحَاط من صناعَة النجامة بِمَا لم يحط بِهِ غَيره فَاطلع على اتِّصَال نَادِر لَا يَقع مثله إِلَّا فِي أُلُوف من السنين ويستتبع أمرا غَرِيبا فَاتخذ مَا علم وُقُوعه من الغرائب معجزا لنَفسِهِ فَلَا يكون حِينَئِذٍ دَالا على صدقه»(٣).

ثالثا: المشهور في كتابات المتكلمين أن المعجزة حُجَّة على مَن حضرها بالمعاينة، وحجة على من غابت عنه بنقلها إليه بالتواتر، ومسألة توافر نقل

---

(١) الطلسم «عبارَة عَن تمزيج القوى السماوية الفعالة بالقوى الأرضية المنفعلة وَذَلِكَ أَن القوى السماوية أَسبَاب لحدوث الكائنات العنصرية ولحدوثها شَرَائِط مَخْصُوصَة بهَا يتم استعداد الْقَابِل فَمن عرف أَحْوَال الْفَاعِل والقابل وَقدر على الْجمع بَينهمَا عرف ظُهُور آثَار مَخْصُوصَة غَرِيبَة» شرح المواقف (٣/ ٣٦٨)

(٢) شرح المواقف (٣/ ٣٦٧).

(٣) شرح المواقف (٣/ ٣٦٧).

الغرائب بالتواتر مما انتقده العديد من العلماء، فالأستاذ رشيد رضا ذكر أنه لا يصح للنصارى احتجاج بمعجزات المسيح لإثبات نبوته فضلا عن ألوهيته؛ لأنه لا سند لها متصل، فضلا عن أن تكون منقولة بالتواتر، بما يمثل تحديا لهم على إثبات نبوة المسيح فضلا عن ألوهيته إذا كانت المعجزة هي الحجة المنفردة لإثبات ذلك(١). ومسألة التشكيك في تواتر المعجزات الحسية مما استدركه الخواجة نصير الدين الطوسي على الإمام الرازي يقول: «لا نسلّم أنّ رواة الغرائب التي يمكن الاستدلال بها على الرسالة بلغوا حدّ التواتر، فانّه ليس كلّ ما يُذكر في كتب دلائل النبوّة ممّا يصح الاستدلال القطعيّ به على الرسالة... ولا نسلّم أنّ رواة أمثال هذه الأشياء بلغوا إلى حدّ التواتر»(٢)، ويقول: «لا نزاع في أنّها-يعني الخوارق- لم تنقل إلينا نقلا متواترا، بل إنّما نقلت على سبيل الآحاد، ورواية الآحاد لا تفيد العلم»(٣).

رابعا: مع تطور الحضارة، ودخول الإنسان عصر العلم، صار يُنظر بقلق إلى تأثير المعجزات على مستقبل الانسان، يقول حسن حنفي: «المعجزات ... رجوع بالتطور البشري إلى الوراء ... حيث كان العقل يقف عاجزًا عن فهم قوانين الطبيعة، فيلجأ إلى السحر والعبادة درءًا للخوف واتقاءً للمخاطر، كما أنها إنكار لقوانين الطبيعة؛ فالمعجزة قدح في العقل وقدح في الطبيعة»(٤)، فالخوارق

---

(١) راجع تفسير المنار (١١/ ١٢٨).

(٢) تلخيص المحصل (ص: ٣٥٢).

(٣) المصدر السابق (ص: ٣٥٢).

(٤) من العقيدة إلى الثورة النبوة – المعاد: د.حسن حنفي، (٧٧/٤)، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، مصر، ١٩٨٨م. والقول بأن الإيمان بالمعجزات يمثل تراجعًا للوراء وإنكارًا لقوانين الطبيعة -وفقا لقول حسن حنفي- يتجاهل منظورًا أعمق يمكن أن يجمع بين الاعتقاد الديني والعقلانية العلمية. فالإيمان بالمعجزات لا يتطلب إنكار القوانين=

-وفقا لحنفي- كانت سببا جوهريا في تثبيط الروح العلمية عند الحضارات القديمة، ذلك أنها كانت تدفعهم إلى التسليم بالتفسيرات الغيبية، دون البحث عن أسبابها المادية، فظاهرة الكسوف -مثلا- كان يتم تفسيرها على أنها نذير شؤم وسخط وبلاء بدلًا من فهمها كظاهرة فلكية طبيعية. وفي نفس هذا السياق تنتشر حديثا دعاوى تؤكد أن الايمان بالخوارق هو السبب الجوهري في تأخر كثير من الأمم المعاصرة، ذلك أن إيمانهم بالخوارق دفعهم إلى ترك الأخذ بالاسباب، والاتكال على انتظار القوى الخارقة لحل المشكلات بدلًا من توظيف العلم والعمل الجاد. ويتم تأكيد هذا الادعاء بظهور خطابات ترى ضرورة الاعتماد على الدعاء والصلوات والطقوس لاستجلاب المطر في حالات الجفاف دون أن يتضمن خطابهم أي إشارة لضرورة العمل بالأسباب بتطوير تقنيات الاستمطار الصناعي، وتحلية مياه البحر، وتطوير تقنيات الري الحديثة.

خامسا: المعجزة الخارقة للعادة وإن كانت الدليل الأشهر على ثبوت النبوة، إلا أن حجيتها في الإقناع لم تكن ذات تأثير قاطع، وكثيرا ما تَحايل عليها المخالفون وأنكروها، يقول الشيخ رشيد رضا: «لم يؤمن بها -يعني بخوارق العادات- ممن شاهدوها إلا المستعدون للإيمان بها، إن فرعون وقومه لم يؤمنوا بآيات موسى، وإن أكثر بني إسرائيل لم يعقلوها، وقد اتخذوا العجل وعبدوه بعد

=الطبيعية، بل يمكن أن يُفسر على أنه إقرار بوجود قوانين إلهية خاصة قد تكون مجهولة للإنسان. ثم إن القدرة الإلهية التي أوجدت الكون وما فيه من قوانين، قد تيسر حركة هذه الظواهر في اتجاه مخصوص لتحقيق أهداف إلهية محددة، مثل تصديق الرسل، دون أن يعني ذلك تحديًا للعقل. ومن ناحية أخرى، فإن الدين الذي يخبرنا بالمعجزات هو نفسه الذي واجه السحر والخرافة ونبذ الخزعبلات. لذا، فإن المعجزات في السياق الديني لا تعني إعادة البشرية إلى زمن السحر والخرافة، بل هي جزء من نظام إيماني يعترف بالعقل والعلم.

رؤيتها. وقال اليهود في المسيح: لولا أنه رئيس الشياطين لما أخرج الشيطان من الإنسان وقالوا: إن إبليس يفعل أكبر من فعله، وقال المنافقون وقد رأوا بأعينهم سحابة واحدة في إبان القيظ قد مطرت عسكر المؤمنين وحده عند دعاء النبي ﷺ: إننا مطرنا بتأثير النوء لا بدعائه»[1].

سادسا: تشير العديد من الدراسات إلى أن حجية المعجزة في الدلالة على الصدق إنما هي حجة نسبية؛ فكما يمكن أن تظهر على يد النبي الصالح لتأكيد رسالته، يمكن للساحر الفاسد أن يدَّعيها لتحقيق أغراضه. يقول الشيخ رشيد رضا في حديثه عن التوظيف المسيحي لخوارق العادات: «وكان أضعاف أضعافهم–المسيحيون– يخضع مثل هذا الخضوع نفسه للسحرة والدجالين ... وقد نقلوا عن المسيح عليه السلام أنه سيأتي بعده أنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب (متى ٢٤: ٢٤)»[2]. كما أن حجية المعجزة ليست حصرية لدين معين، بل يستخدمها أصحاب كل المعتقدات والأديان لإثبات صدق دينهم ودحض الديانات الأخرى. وقد ذكر الشيخ رشيد رضا أن خوارق العادات يتم توظيف ظهورها عند المسلمين والمسيحين على حد السواء، يقول: «أمثال هذه الأمور –خوارق العادات– تقع من أناس كثيرين في كل زمان، والمنقول منها عن صوفية الهنود والمسلمين أكثر من المنقول عن العهدين: العتيق والجديد، وعن مناقب القديسين»[3]، وذكر أن المعجزات تنتشر بشكل أكبر في الأديان الوثنية مقارنةً بالأديان السماوية،. يقول: «من استقرأ تواريخ الأمم عَلِمَ أن الملل الوثنية أكثرُ اعتمادا على العجائب من أهل الأديان السماوية، ورأى الجميع

(١) تفسير المنار (١١/ ١٢٨).
(٢) تفسير المنار (١١/ ١٢٨).
(٣) المرجع السابق (١١/ ١٢٨).

ينقلون ...من الأولياء والقديسين أكثر مما نقلوا عن الأنبياء المرسلين، وأن أكثر المصدقين بها من الخرافيين»[١] .

ناقشت كتب علم الكلام هذه الاعتراضات، ورغم ما قدمته عليها من إجابات، إلا أنها تركت أثرا واضحا في الاجتهاد الكلامي الذي انتهى بكثير من العلماء إلى اعتبار الخارق الحسي غير كاف وحده لتصديق الرسول. لذلك قرنوها بحجج وأدلة أخرى.

المسألة الرابعة: أثر الاعتراضات على حجية المعجزة في الاجتهاد الكلامي والفلسفي:

الاعتراضات الواردة على (الخوارق الحسية)، ومدى سلامة حجيتها في الدلالة على صدق الرسول دفعت بعض العلماء لمحاولة تأسيس إثبات النبوة بإضافة حجج وقرائن أخرى إلى المعجزات، وفي العناصر التالية تشير الدراسة إلى بعض هذه المحاولات:

١- الإمام الغزالي: ذهب إلى أن اليقين بنبوة شخص يتحقق من خلال التعرف على أحواله وأخلاقه، والتعرف على أقواله وتعاليمه، والتعرف على معنى النبوة ذاتها ومقابلة ما عرفناه من أحوال النبي بها، يقول: «فإن وقع لك الشك في شخص معين، أنه نبي أم لا؟ فلا يحصل اليقين إلا بمعرفة أحواله، إما بالمشاهدة، أو بالتواتر والتسامع، فإنك إذا عرفت الطب والفقه، يمكنك أن تعرف الفقهاء والأطباء بمشاهدة أحوالهم، وسماع أقوالهم، وإن لم تشاهدهم، ولا تعجز أيضًا عن معرفة كون الشافعي رحمه الله فقيهًا، وكون جالينوس طبيبًا، معرفة بالحقيقة لا بالتقليد عن الغير... فكذلك إذا فهمت معنى النبوة فأكثرت النظر في القرآن والأخبار، يحصل لك العلم الضروري بكونه ﷺ

(١) المرجع السابق (١١/ ١٢٨).

على أعلى درجات النبوة، وأعضد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات وتأثيرها في تصفية القلوب، وكيف صدق ﷺ في قوله: "من عمل بما علم ورثهُ الله علم ما لم يعلم "وكيف صدق في قوله: "من أعان ظالمًا سلطهُ الله عليهِ". فإذا جربت ذلك حصل لك علم ضروري لا تتمارى فيه. فمن هذا الطريق اطلب اليقين بالنبوة، لا من قلب العصا ثعبانًا، وشق القمر، فإن ذلك إذا نظرت إليه وحده، ولم تنضم إليه القرائن الكثيرة الخارجة عن الحصر، ربما ظننت أنه سحر وتخييل، وأنه من الله تعالى إضلال فإنه "يُضلِلُّ من يَشَاءُ ويَهدي من يشاءُ "[1]، وأكد الإمام الغزالي على ضرورة عدم حصر دلالة النبوة في المعجزة وفقط، بل يجب التعامل معها بوصفها إحدى القرائن الدالة على ثبوت النبوة، يقول: «فلتكن مثل هذه الخوارق إحدى الدلائل والقرائن في جملة نظرك، حتى يحصل لك علم ضروري لا يمكنك ذكر مستنده على التعيين، كالذي يخبر جماعة بخبر متواتر لا يمكنه أن يذكر أن اليقين مستفاد من قول واحد معين، بل من حيث لا يدري ولا يخرج من جملة ذلك ولا بتعيين الآحاد. فهذا هو الإيمان القوي العلمي»[2] فالإمام الغزالي هنا قدم تحليلًا عميقًا لمعنى النبوة، ربط فيه حصول اليقين بها بضرورة فهم طبيعة الرسالة ومقارنتها بأحوال الرسول، وبحث مناسبة هذا لذاك، وهو موقف عقلي عميق خرج الغزالي به عن القول بحصر ثبوت النبوة في مشاهدة الخوارق الحسية وفقط.

٢- ابن تيمية: يتقارب بشكل كبير مع الإمام الغزالي، حيث ذهب إلى أن المعجزة ليست وحدها هي دليل ثبوت النبوة، ولكن قد يحدث العلم

(١) المنقذ من الضلال: الإمام الغزالي، تقديم وتعليق: الشيخ عبد الحليم محمود (ص: ١٨٥)، د.ط، دار الكتب الحديثة، مصر، د.ن.

(٢) المنقذ من الضلال (ص: ١٨٥).

الضروري من خلال معرفة حال الرسول قبل بعثته، واستدل على ذلك بتصديق كثير من الصحابة الذين أسلموا قبل معاينة خوارق العادات، يقول: «إيمان خديجة، وأبي بكر، وغيرهما من السابقين الأولين كان قبل انشقاق القمر، وقبل إخباره بالغيوب، وقبل تحديه بالقرآن»(١)، ويقول أيضا: «وكثير من الناس يعلم صدق المخبِر بلا آية البتة، بل إذا أخبره، وهو خبير بحاله، أو بحال ذلك المخبر به، أو بهما، علم بالضرورة: إما صدقه، وإما كذبه. وموسى ب لما جاء إلى مصر فقال لهارون وغيره: "إن الله أرسلني"، علموا صدقه، قبل أن يُظهر لهم الآيات... وكذلك النبي ﷺ لما ذكر حاله لخديجة، وذهبت به إلى ورقة بن نوفل، وكان عالما بالكتاب الأول، فذكر له النبي ﷺ ما يأتيه، عَلِمَ أنه صادق، وقال: "هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى"... وكذلك النجاشي: لما سمع القرآن، قال: "إن هذا، والذي جاء به موسى، ليخرج من مشكاة واحدة"»(٢). ابن تيمية هنا أضاف أن التصديق بالنبوة ربما يحصل بغير المعجزة الحسية أصلا، فقد يحصل التصديق فقط بمثل ما ذكره الإمام الغزالي من معرفة حال الرسول، وطبيعة النبوة، فقبل أن يشهد الصحابة المعجزات، كانوا قد آمنوا برسالة النبي- ﷺ - بناءً على ما عايشوه من صدق وأمانة. هذا يؤكد أن الإيمان ليس مجرد تقليد، بل هو نتيجة قناعة عميقة تستند بقدر كبير إلى التجربة الشخصية للإنسان.

٣- ابن رشد: أكد على دلالة الشرائع المحكمة على ثبوت النبوة، مصرِّحا بموافقته للإمام الغزالي، يقول: «ولْيعرف أن طريق الخواص في تصديق الأنبياء طريق آخَر وهو الصادر عن الصفة التي بها سُمِّيَ النبي نبيًّا، الذي

(١) النبوات: ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان (٢/ ٨٨٥)، الطبعة الأولى، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠م.

(٢)النبوات: ابن تيمية (٢/ ٨٨٥).

هو الإعلام بالغيوب ووضع الشرائع الموافقة للحق والمفيدة من الأعمال ما فيه سعادة جميع الخلق»[١]، ويقول: «الخارق للمعتاد إذا كان خارقا للمعرفة بوضع الشرائع دل على أن وضعها لم يكن بتعلم وإنما كان بوحي من الله، وهو المسمى نبوة، وأما الخارق الذي هو ليس في نفس وضع الشرائع مثل انفلاق البحر، وغير ذلك، فليس يدل ضرورة على هذه الصفة المسماة نبوة»[٢]

٤- باروخ اسبينوزا: أكد على أن الوحي يمكن تأسيسه من خلال ما تضمنه من حِكَم وتعاليم إلهية، يقول: «أنا واثق أنه يمكن تأسيس صدق الوحي الإلهي على حكمة التعاليم الإلهية فحسب لا على الخوارق» [٣] .

٥- الشيخ رشيد رضا: ذهب إلى أن تأثير هداية تعاليم النبي في الخلق، أقوى في الدلالة على صدق الرسول من تأثير الخوارق، وبهذه الطريقة استدل على نبوة نبينا ﷺ، يقول: «جعل المسيح -عليه السلام- القاعدة لمعرفة النبي الصادق تأثير هدايته في الناس لا العجائب فقال: ((من ثمارهم تعرفونهم)) [٤] ولم يظهر بعده نبي كانت ثماره الطيبة في هداية البشر كثمار محمد - ﷺ» إلخ وما جاء بعده نبي أرشد الناس إلى جميع الحق في الدين من توحيد وتشريع وحكمة وتأديب غير محمد ﷺ »[٥].

---

(١) الكشف عن مناهج الأدلة: ابن رشد، تحقيق: د.محمود قاسم، صـــ ٢١٥، ط.٢، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٤م

(٢) الكشف عن مناهج الأدلة: صـــ ٢١٦.

(٣) مبادئ فلسفة ديكارت -أفكار ميتافيزيقية - مراسلات: سبينوزا، ترجمة جلال الدين سعيد، رسالة رقم ٧٣ صـــ٤٥٧، المركز القومي للترجمة، تونس، ٢٠١٥م.

(٤) (إنجيل يوحنا ١٦: ١٢).

(٥) تفسير المنار (١١/ ١٢٨).

تعقيب:

إن التعويل في إثبات النبوة على الخوارق الحسية وحدها، يضع الإيمان بها تحت مجهر الشك والتأويل، ويجعله عرضة للتأثر بتغيرات الزمان والمكان. وخير دليل على هذا ما شهده التاريخ الفلسفي والكلامي من تشكيكات واعتراضات كثيرة حول طبيعة هذه الخوارق، ومدى صلاحيتها منفردة في إثبات النبوة(١)، وقد ازدادت وتيرة هذه التشكيكات في العصور الحديثة التي تشهد تطورًا في الفهم العلمي والتفسيرات العقلية للطبيعة.

وعلى الجانب الآخر عندما نضيف لحجج ثبوت النبوة الأدلة الأخرى المتعلقة بأخلاق النبي، وسلوكه، ونظامه التشريعي فإننا نصل إلى يقين أعمق، مبني على أن النبوة ليس مجرد قبول لأمر غيبي، نتيجة الدهشة لحدوث أمر خارق للعادة، بل هو يقين مبني على قناعة عقلية ووجدانية تستند إلى مجموعة من الأدلة المتكاملة.

(١)وقد ذكرت الدراسة جانبا من هذه الاعتراضات.

المبحث الثاني

المعجزات قراءة جديدة للتصور الكلامي

إن الخوارق مرصودة في الواقع، ومنقولة في الأخبار، بعضها عن طريق التواتر، وبعضها عن طريق الآحاد! بعضها منقول عن الأنبياء والصالحين، وبعضها منقول عن السحرة والفاسدين! فإنكارها يعني إنكار هذا النقل! ومن ناحية أخرى فإن إثباتها –بوصفها خرق لناموس الطبيعة– يعني غض الطرف عن العديد من التحديات السابق ذكرها، من أن تَجْوِيز خرق العادات فيه من السفسطة، والْخبط والإخلال، ما يفسد المنطق، والإدراك، ويتعارض مع مباديء علوم الطبيعة ومناهجها، فترى هل يمكن تقديم قراءة جديدة للمعجزات، بحيث تكون متوافقة مع قوانين الطبيعة! وفي نفس الوقت تكون أحد الحجج الدالة على صدق الرسول؟ قراءة لا تنكر نصوص الخوارق المنقولة بطرق صحيحة، وفي نفس الوقت لا تتصادم مع مبادئ علوم الطبيعة ومناهجها؟ هذا ما ستحاول الدراسة تقديم إجابة عليه من خلال تحليل مفهوم ومعنى المعجزة.

المسألة الأولى: حول مفهوم العادة وخرقها:

العادة في اللغة: يدور معناها حول التكرار والمداومة، يقال «ما زال هذا دَابَكَ، ودِينَكَ، ودَيْدَنَكَ... وطُرْقَتَكَ أي: عَادَتَكَ، ويقال تلك الفَعْلَةُ من فَعَلَاتِ فلانٍ مَطِرَةٌ أي: عَادَةٌ »[1]، وسميت العادة عادة «لأنها لا تزال يُعاد إليها: أي يُرْجَع مرةً بعد مرة»[2].

---

(١) المنتخب من كلام العرب: علي بن الحسن الهُنائي الأزدي (ص: ٤٠٣)، تحقيق: د محمد بن أحمد العمري، الطبعة الأولى، جامعة أم القرى (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ١٩٨٩م.

(٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (٧/ ٤٨٢٠)، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، ١٩٩٩ م.

العادة في الاصطلاح: هي: (تكرر الشيء دائما كسلب النطق عن الجماد، أو غالبا كطلوع الشمس كل يوم من مشرقها، وغروبها في مغربها»[١]، ويذكر العلامة الفرهاوي أن: « الفعل إذا تكرر صدوره عن الله سبحانه مرات لا تحصى حتى لم يستغربه المشاهدون كإحراق النار سمي فعل العادة»[٢]، وذكر الباقلاني أن العادات تنقسم إلى عامة وخاصة، «فالعامة ما يشترك فيه جميع الناس، في جميع الأعصار؛ كالأكل، والشرب، واتقاء الحر والبرد. والخاصّ منها ما يكون كعادة للملائكة فقط، أو للجنّ فقط، أو للإنس دون غيرهم»[٣]، وذكر السيد الشريف الجرجاني أن «العادة أحد طرق العلم كالحس –فيجوز– أن نجزم ذلك الجزم بشيء من جهة العادة مع إمكان نقيضه في نفسه»[٤].

خرق العادة في الاصطلاح: يعني :« أن يخرج الحكم على خلاف ما هو معتاد–، كوجود النطق ولا حياة، وكتسبيح الحصى في كفه ﷺ، وكطلوع الشمس من مغربها في بعض ما يستقبل من الأيام»[٥]، فـ «الفعل إذا حدث بخلاف مألوف المشاهدين –الذي تكرر صدوره عن الله مرات لا تحصى... فإنه يسمي خارقا للعادة»[٦]، وذكروا أن خرق العادة قد يكون فعلا أو تركا، «فالفعل:

---

(١) عمدة المريد شرح جوهرة التوحيد: الشيخ إبراهيم اللقاني (٢/ ٩٤٣)، تحقيق: محمد ادريس –بهاء الخلاية –عبد المنان الإدريسي – جاد الله صالح، ط.١، دار النور المبين للنشر والتوزيع عمان – الأردن، ٢٠١٦م.

(٢) النبراس شرح شرح العقائد النسفية: العلامة محمد عبد العزيز الفرهاري (ص: ٨٤)، اعتنى به: أوقان قدير يلمزان، الطبعة الأولى، مكتبة ياسين، تركيا، ٢٠١٢م.

(٣) البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات: الإمام الباقلاني: صـــ٥٢)، تحقيق الآب رتشرد مكارثي اليسوعي، د.ط. المكتبة الشرقية، بيروت، ١٩٨٥م.

(٤) شرح المواقف (٣/ ٣٦٧).

(٥) عمدة المريد شرح جوهرة التوحيد (٢/ ٩٤٣).

(٦) أنظر النبراس شرح شرح العقائد (ص: ٨٤).

كنبع الماء من بين أصابع النبي محمد ﷺ، والترك: كعدم احتراق إبراهيم عليه السلام عندما قذف في النار»[١]، وذكر أبو عثمان السلاجي أن «خرق العادة يكون بوجهين: أحدهما: أن يفعل شيئا ليس في مقدور البشر عادة فعل كشق القمر. الثاني: أن يمنع غيره من أن يفعل مثل فعله الذي جرت العادة أن يفعل ذلك الغير مثله، مثل أن يقوم في محفل فيقول: أنا أقدر أن أقوم، ولا يقدر أحد منكم أن يقوم. فيعرضون على أنفسهم القيام فلا يستطيعونه، ويستطيعه هو دونهم»[٢]، وذكر الباقلاني أن المعتزلة يرون أن الفعل المعجز على ضربين: « الأول: يتفرد الله بالقدرة عليه. الثاني: ما جنسه تحت قدرة العباد، غير أنه يقع من االله على وجه يتعذر على العباد إيقاع مثله»[٣].

التعقيب:

أولا: يلاحظ في تعريفات «المعتاد» عدم القطع بمعنى واحد يبين هل المقصود عادة الله أم عادة البشر، وهذا ما دفع ابن رشد للقول بأن «العادة لفظ مُمَوَّه»[٤]، ومن ناحية أخرى يتضح من تعريفات العادة دخول النسبية في مفهومها، وهذا ما أشار إليه ابن تيمية في قوله: «كون الشيء معتادًا وغير معتاد أمرٌ نسبيّ إضافيّ، ليس بوصف مضبوط تتميّز به «الآية»، بل يعتاد هؤلاء ما

(١) المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد (ص: ١٣٧)

(٢) العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية: أبي عمر عثمان السلاجي (ص: ٨٩)، تحقيق: نزار حمادي، الطبعة الأولى، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر بيروت لبنان، ٢٠٠٨م.

(٣) البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة، الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطي، نشره: الأب ريتشارد يوسف اليسوعي، بغداد: منشورات الحكمة، توزيع بيروت: المكتبة الشرقية ساحة النجمة، ١٩٥٨م، ص.٢٣.

(٤) تهافت الفلاسفة: ابن رشد، صـــ٣٥٢، تقديم وتعليق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

لم يعتد هؤلاء؛ ... فقد يأتي الرجل بما لا يقدر الحاضرون على معارضته، ويكون معتادًا لغيرهم كالكهانة، والسحر»[١].

ثانيا: هذا الغموض دفع العلماء لوضع تقيدات احترازية لتمييز خارق العادة الدال على صدق الرسول من غيره، قال الجويني: «فما كان من المعجزات خوارق، فإنها تتميز قطعيا عن مراتب الصنائع البديعة، والأمور التي يختص بها خواص الناس»[٢]، ولذا فإن ابن تيمية –مثلا– قيد الفعل الخارق العادة، بأنه يجب أن يكون مما يختص به الأنبياء، لا مما يحصل بالتعلم واستنتاج بعضه من بعضه حتى لو بلغ مبلغا غريبا غير مألوفا لعادة الناس، «فإذا خصّ الله طبيبًا، أو نحويًا، أو فقيهًا بما ميّزه به على نظرائه، لم يكن ذلك دليلًا على نبوّته، وإن كان خارقًا للعادة؛ فإنّ ما يقوله الواحد من هؤلاء قد علمه بسماعٍ، أو تجربةٍ، أو قياسٍ.وهي طرقٌ معروفة لغير الأنبياء. والنبيّ قد علّمه الله من الغيب الذي عصمه فيه عن الخطأ ما لم يعلَمْهُ إلا نبيّ مثلُهُ»[٣].

ثالثا: ذهب العلماء إلى أن الظواهر الخارقة على ضربين، إما عقلية وإما حسية[٤] وتناول العلماء للخوارق الحسية يشير إلى أن لها مظهرين: الأول: عباره عن تيسير ظواهر الطبيعة وتوجيهها نحو تحقيق هدف ديني معين، كإرسال الرياح أو المطر على المعاندين للأنبياء، والثاني: خرق قانون الطبيعة

---

(١) النبوات: ابن تيمية (١/ ١٧٣).

(٢) العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية (ص: ٢٢١).

(٣) النبوات لابن تيمية (١/ ١٧٣).

(٤) راجع: تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٤٢)، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني،الطبعة الأولى، كلية الآداب – جامعة طنطا، ١٩٩٩م، والإتقان في علوم القرآن: الإمام السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (٤/ ٣)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

وكسره لتحقيق هدف معين مثل تحول العصا إلى ثعبان، ونبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ، وبالطبع المظهر الأول لا إشكال علمي ومنطقي فيه، أما المظهر الثاني فهو موطن الأسئلة والاعتراضات.

المسألة الثانية: عادة من؟ اختلفت آراء المتكلمين في بيان نسبة العادة، إلى آراء عديدة:

- **الأول:** العادة هي عادة الله: يقول الشيخ الفرهاوي: «المشهور: أن المراد هي العادة الإلهية»(١).
- **الثاني:** لا يجوز إطلاق لفظ العادة على الفعل الإلهي: يقول الشيخ الفرهاوي: «تحرز بعضهم عنه–عن إطلاق مصطلح عادة الله– لعدم إذن الشارع»(٢).
- **الثالث:** العادة هي عادة المصنوعات: يقول الشيخ الفرهاوي: «لا يبعد عندي حملها–يعني العادة– على عادة المصنوعات مجازا»(٣).
- **الرابع:** العادة هي عادة جميع الخلائق: يقول الجويني: «الشرط الثالث: أن تعجز الخلائق عن معارضته، والإتيان بمثل ما أتى به، ولوعارضه معارض، لبطل ما ادعاه من اختصاص بانخراق العادة له»(٤).
- **الخامس:** العادة هي عادة عموم وجميع «نوع» المرسل إليهم (البشر أو الملائكة أو الجن) يقول القاضي الباقلاني: "يكون خرق العادة الذي يفعله الله مما يخرق جميع القبيل – أي الجماعة – الذين تحداهم الرسول بمثله ويحتج به على نبوته، فإن أرسل ملكًا إلى الملائكة أظهر على يده ماهو خرق

(١) النبراس شرح شرح العقائد النسفية (ص: ٩٧).
(٢) المصدر السابق (ص: ٩٧).
(٣) المصدر السابق (ص: ٩٧).
(٤) المصدر السابق (ص: ٢٢٠).

لعادتهم، وإن أرسل بشرًا أرسله بما يخرق عادة البشر، وإن أرسل جنيًا أظهر على يديه ماهو خارق لعادة الجن(١).

- **السادس:** العادة هي عادة «نوع» المرسل إليهم (البشر أو الملائكة أو الجن) جميع النوع، أو بعضه، يقول الشهرستاني: «نقول: نعلم ضرورة أن الصعود إلى السماء والمشي على الماء وإحياء الموتى وقلب العصا حية تسعى، وأمثال ذلك نقض لعادة البشر فإذا اقترنت بتحدي الرسالة أو تصديق قول ما كانت آية وحجة على البشر وإن لم تكن نقضا لعادة الملائكة والجن والمعتبر في كون الآية حجة أن يكون ذلك نقضا لعادة من كانت الآية حجة عليه والعادة عادة له وكذلك لو ادعى النبي مدا وجزرا في جيحون كان لأنه نقض لعادتها، وإن كان معتادا لأهل البصرة، وكذلك لو قال: آية صدقي أن ينبت اللّه نخيلا بخراسان كان ذلك آية معجزة له»(٢)

- **السابع:** العادة هي عادة جميع البشر من غير الأنبياء، يقول ابن تيمية: « **لا يكفي مجرد كونه خارقا بعادة أولئك القوم دون غيرهم ... بل لا بد أن يكون مما لم يعتده غير الانبياء فيكون خارقا لعادة غير الانبياء فمتى عرف أنه يوجد لغير الانبياء بطلت دلالته**»(٣).

- **الثامن:** العادة هي عادة القوم المخصوصين المرسَل إليهم الرسول، يقول القاضي عبد الجبار: «نقض عادة قوم قد يكون عادة لآخرين، فلو لم نعتبر حال مَنْ العادة عادة له لوجب أن يلتبس نقض العادة بالعادة ... نقض العادة

---

(١) البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات (ص:٥٥).

(٢) نهاية الإقدام في علم الكلام (ص: ٢٤٥)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط.١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٥٤هـ.

(٣) النبوات لابن تيمية (١/ ٥٠١)

في قوم إذا صح وكان المعتبر بعاداتهم فحال غيرهم لا يُعْتَدّ به؛ لأن وجودهم ووجود عادتهم كعدمه من باب أن عادتهم غير معتبرة فكذلك نقض العادة فيهم غير معتبرة...ولذلك صح في عادات أهل السماء أن تكون ناقضة لعادة أهل الأرض وكذلك عادة بعض البلاد أنها قد تكون ناقضة لعادة غيرها من البلاد»[1].

التعقيب:

أولا: أي خرق للعادة هو الدال على صدق الرسل، وثبوت النبوة، هل هو خرق عادة الله؟ أم عادة المصنوعات التي هي محل الخرق؟ أم عادة المخلوقات (البشر والحيوانات والجمادات)؟ أم عادة جميع البشر بما فيهم الأنبياء السابقين؟ أم عادة جميع البشر عدا الأنبياء؟ أم عادة بعض البشر المبعوث إليهم الرسول؟

خلافات المتكلمين حول بيان نسبة العادة، جعلت المفهوم أكثر غموضا وإبهاما، وهذا ما دفع ابن رشد لأن يوجه إليه انتقاداته، يقول: «ما أدري ما يُريدون باسم العادة، هل يُريدون أنها عادة الفاعل، أو عادة الموجودات، أو عادتنا عند الحكم على هذه الموجودات؟»[2].

ثانيا: طالما أن هناك اختلاف بين المتكلمين في الإجابة عن سؤال نسبة العادة، وحدودها، فترى أي هذه الإجابات يتوافق مع مباديء العلوم ومناهجها، في نفس الوقت يحفظ للمعجزة قوتها في كونها دليل على النبوة؟

تضعف الدراسة القول بأن العادة هي عادة الله، لما ذكره ابن رشد، من أنه «محال أن يكون لله تعالى عادة؛ فإن العادة: ملكة يكتسبها الفاعل تُوجب

---

(١) المغني في أبواب العدل والتوحيد: القاضي عبد الجبار جـ١٥، صـ ١٨٣، تحقيق أحمد فؤاد الأهواني وآخرون، مطبعة مصر، القاهرة، ط.١، ١٣٨٢هـ.

(٢) تهافت التهافت: ابن رشد (صـ ٥٠٧)، تقديم وتحليل د. محمد عابد الجابري، ط.١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨م.

تكرار الفعل منه على الأكثر. والله تعالى يقول: وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا (الفتح: ٢٣)»[١] ولما دل عليه حديث النبي الأكرم ﷺ والذي قال فيه: «إِنَّ اللَّهَ قدَّرَ مقاديرَ الخلائقِ قبلَ أن يخلقَ السَّمواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سنةٍ»[٢]، فما كتبه الله سبحانه وتعالى من أحداث، وعلاقات، وسنن، لا يتخلف أبدا، قال تعالى: {وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣) } [الفتح: ٢٣]. فسنة الله وعادته لا تتخلف عما قدره من مقادير للخلائق.

- ✓ وتضعف الدراسة أيضا القول بان المقصود بالعادة هي عادة المصنوعات، لأنه حكم أنطلوجي (وجودي) بوجود رابطة (عادية) تصف أفعال المصنوعات، وأن المعجزة إنما هي خرق لهذا الرابطة العادية. والحكم بوجود رابطة سواء (عادية أو حتمية) تحكم فعل المصنوعات، ليس بحثا عقليا، وإنما بحث (وجودي)، صار يدخل الآن في نطاق العلوم الطبيعية والتجريبية وغيرها.
- ✓ وتضعف الدراسة القول بأن المعجز إنما هو معجز لكل الخلق، إذ كيف يقصد تحد من لم تقصده الرسالة بالخطاب! فإذا كان هناك نبيا مبعوثا لأهل الشام مثلا، فما الحكمة في تأييده بخرق عادة أهل مصر؟!

ثالثا: يتبقى احتمال آخير، وهو أن المراد بالعادة المخروقة، عادة البشر؟ لكن هل المقصود عادة كل البشر على الاطلاق في كل زمان ومكان؟ أم عادة بعض البشر يعني القوم المخصوصون المكلفون بالاختبار بالرسالة؟! ترجح الدراسة أن خرق العادة، قد يراد به عادة كل البشر، وذلك إذا كانت الرسالة عامة لكل البشر، كرسالة نبينا ﷺ، وقد يراد به عادة بعض البشر كخرق العادة لقوم

---

(١) المصدر السابق نفس الصفحة

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (٢٦٥٣)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

مخصوصين، إذا كانت الرسالة خاصة ومقيدة بهؤلاء القوم المخصوصين. وقد ذهب الآمدي أن كون الأمر خارقا لعادة قوم، في عصر معين، وليس بخارق لقوم آخرين أو في عصر آخر، لا ينفي حجيته في الدلالة على صدق الرسول، يقول: « وعن الحادية والعشرون القائلة بجواز اطراده فيما تقدم من الأعصار، أو فى بعض الأمصار أنه وإن أمكن ذلك عقلا فهو مع بعده، وعدم نقله لا يمنع أن يكون ما أتى به الرسول خارقا للعادة بالنسبة إلى عصره وبالنسبة إلى قطره مع الذين تحدى به عليهم فإن طرد العادة بشيء بالنسبة إلى بعض المخلوقات لا يمتنع من كونه خارق للعادة بالنسبة إلى بعض أخر»[1] فتقيد الخارق الحسي بالزمان والمكان لا يضر بحجية المعجزة وفقا لما ذهب إليه الآمدي.

وبناء على ما سبق؛ تقترح الدراسة تعريفا جديدا لخرق العادة بأنه: [وقوع حدث يخالف نمط التوقعات العقلية التي تكونت لدى البشر بناءً على تجاربهم المتكررة وملاحظاتهم الطبيعية. هذا الخرق لا يتعلق بتغيير في النظام الثابت في الكون، بل هو خروج عن الإطار المعتاد للإدراك البشري]. وهي إجابة، توفق بين أرجح الأقوال التراثية، في سياق يتوافق مع مبادئ العلوم ومناهجها، في نفس الوقت الذي يحفظ للمعجزة قوتها في كونها دليل على النبوة.

✓ أما من حيث التوافق مع مبادئ العلوم ومناهجها؛ فلأنها إجابة تُركز على خرق نمط التوقعات العقلية، ممّا يتوافق مع مبدأ العلية[2] في العلوم، حيث

(١) أبكار الأفكار في أصول الدين (٤/ ٥٧)، وقال: «الشبهة الحادية والعشرون: سلمنا أن الخارق معلوم غير مجهول ولكن ما أتى به إنما يدل على صدقه لو كان مما لم تطّرد به العادة فى بعض أقطار الأرض، أو فيما تقدم من الأعصار وإن لم يكن معتادا فى ذلك الوقت، ولا فى ذلك القطر. ولا سبيل إلى معرفة ذلك قطعا فلا يكون خارقا للعادة مطلقا فلا يكون حجة على الصدق.» أبكار الأفكار في أصول الدين (٤/ ٤١).

(٢) مبدأ العلية لم ينهار في العلم الحديث، بل هو أساس لكل التطورات العلمية، حيث يفترض العلماء قبل أي بحث أو رصد أو تجربة أن هناك أسبابًا طبيعية للأحداث، وأن هذه الأسباب يمكن اكتشافها، وأن هذه الأسباب تمكنا من التنبؤ بالأحداث المستقبلية والتحكم=

تُفسر الظواهر الطبيعية بعلل طبيعية. وكذلك هي إجابة لا تُشير إلى تغيير في سنة الله، ممّا يتوافق مع مبدأ ثبات القوانين الطبيعية.

✓ أما من حيث حفظ قوّة المعجزة كدليل على النبوة: فإن هذه الإجابة تربط خرق العادة بقدرة إلهية تتجاوز نطاق الفهم البشري، ممّا يُضفي على المعجزة هالة من القداسة والرهبة التي تحمل النفوس على التصديق بها.

المسألة الثالثة: مدى صلاحية العادة المبتدأة أو المكررة في الدلالة على صدق الرسول:

أولا: يمكننا تصنيف الظواهر الكونية المألوفة والمعتادة بناءً على تكرارها وندرتها إلى الأنواع التالية:

١- الظواهر اليومية: وهي التي تحدث بشكل منتظم كل يوم، مثل: شروق الشمس وغروبها، ودورة القمر، ودوران الأرض حول محورها.

٢- الظواهر الأسبوعية: وهي التي تحدث مرة واحدة في الأسبوع، مثل: تغير مراحل القمر.

٣- الظواهر الشهرية: وهي التي تحدث مرة واحدة في الشهر، مثل: دورة القمر الكاملة.

=فيها. صحيح أن فيزياء الكم قد قدمت لنا وصفًا احتماليًا لسلوك الجسيمات دون الذرية، إلا أنها لم تنكر مبدأ العلية بشكل قاطع. بل كشفت عن طبائع جديدة للعلية، علية إحصائية، حيث لا يمكننا التنبؤ بدقة بسلوك جسيم دون ذري فردي، ولكن يمكننا التنبؤ بسلوك مجموعة كبيرة من هذه الجسيمات بشكل إحصائي. هذا يعني أن مبدأ العلية لم ينهار، بل تطوّر ليلائم تعقيدات العالم الكمومي، يقول ماكس بورن (Max Born) أحد أكبر علماء الكم، وأحد الحاصلين على جائزة نوبل في فيزياء الكم: "التقرير الذي يتردد كثيرا في أن الفيزياء الحديثة قد تخلت عن السببية فاقد بصورة تامة لأي أساس. صحيح أن الفيزياء الحديثة قد عدلت الكثير من الأفكار التقليدية، لكنها ستتوقف عن أن تكون علما إذا تخلت عن البحث عن أسباب للظواهر الطبيعية».

Max Porn, The Natural Philosophy Of Cause and Chance (Oxford: 1949), P. 4. & Sarah Lane Ritchie - Divine Action and the Human mind (2019)

٤- الظواهر الموسمية: وتحدث في مواسم معينة من السنة، مثل: تغير الفصول، هجرة الطيور.

٥- الظواهر السنوية: وهي التي تحدث مرة واحدة في السنة، مثل: الاعتدال الربيعي والخريفي، الانقلاب الصيفي والشتوي.

٦- الظواهر الدورية: وهي التي تحدث بشكل متكرر بعد فترات زمنية محددة، لكنها أطول من سنة، مثل الكسوف الكلي للشمس، والخسوف الكلي للقمر.

٧- الظواهر النادرة: وهي التي تحدث بشكل غير منتظم وبفترات زمنية طويلة، مثلا بعض المُذَنَّبَات الضخمة لها مدارات طويلة تستغرق آلاف السنين لإكمال دورة واحدة حول الشمس. على سبيل المثال، مذنب C/1999 F1 (كاتالينا) له فترة مدارية تُقَدَّر بحوالي (٥٤٢،٠٩٤,٤٦) سنة[١]. ومثل انعكاس الأقطاب المغناطيسية للأرض والذي يحدث على فترات غير منتظمة تمتد إلى مئات الآلاف من السنين. قدرتها بعض الدراسات بـــ (٢٢،٠٠٠) سنة[٢].

٨- الظواهر الاستثنائية: وهي التي تحدث مرة واحدة في تاريخ الكون، مثل: الانفجار العظيم، ونشوء نظامنا الشمسي، وظهور نوع جديد من الكائنات الحية.

ثانيا: هل تصلح العادة المبتدأة، أو العادة المُكَرَّرَة أن تكون دليلا على النبوة؟

يمكن للدراسة تعريف العادة الكونية المبتدأة بأنها: ظاهرة كونية تحدث لأول مرة في تاريخ الكون، مما يمثل بداية جديدة أو حدثًا أساسيًا في التطور الكوني.

(1) https://www.spacereference.org/comet/c-1999-f1-catalina.
(2) https://www.smithsonianmag.com/science-nature/earths-magnetic-field-could-take-longer-flip-previously-thought-180972843/

أما العادة الكونية المكررة، فهي على نوعين:

- ✓ **النوع الأول:** العادات الكونية المألوفة للإنسان: وهي الظواهر الطبيعية المتكررة التي تحدث بانتظام ضمن نطاقات زمنية قصيرة نسبيًا، بحيث تصبح مألوفة للبشر نظرًا لتكرارها المستمر وتأثيرها المباشر على الحياة اليومية. من أمثلة هذا النوع من العادات: دورة الليل والنهار: نتيجة دوران الأرض حول محورها. مراحل القمر: من الهلال إلى البدر ثم العودة إلى الهلال، والتي تؤثر على المد والجزر. هذه الظواهر تشكل أساس الحياة اليومية والأنشطة البشرية المختلفة، مما يجعلها مألوفة ومعروفة للبشر عبر العصور.
- ✓ **النوع الثاني:** العادة الكونية الغريبة على الانسان: وهي الظواهر الكونية النادرة التي تحدث بصورة غير منتظمة وبفترات زمنية طويلة وتُثير لدينا شعورًا بالدهشة والغموض.

من بين هذه الثلاثة أنواع، يكاد أن يكون هناك إجماع على عدم صلاحية أن تكون العادات الكونية المألوفة للإنسان دليلا على ثبوت النبوة، يقول القاضي عضد الدين الإيجي: «وَمَا لَا يكون خارقا للْعَادَة بل مُعْتَادا كطلوع الشَّمْس فِي كل يَوْم وبدو الأزهار فِي كل ربيع فَإِنَّهُ لَا يدل على الصدْق لمساواة غَيره إِيَّاه فِي ذَلِك ...»[(١)]، ويقول القاضي عبد الجبار: «قد عَلِمْنَا أن ما جَرَتْ العادة بمثله لا يتعلق بدعواه تعلقا يقتضي أنه دلالة على صدقه من حيث يجوز أن يكون مفعولا للعادة الجارية لا للتصديق وإذا كان كذلك لم يجز أن يكون دالا على النبوة»[(٢)].

---

(١) شرح المواقف (٣/ ٣٤٢).

(٢) المغني: القاضي عبد الجبار (٢٠٢/١٢) .

يبقى محل النزاع محصورا في السؤال التالي: هل تصلح العادة المبتدأة، أو العادة المكررة -الغريبة على الانسان-أن تكون دليلا على النبوة؟ المتكلمون في الإجابة عن هذا السؤال على رأيين:

الرأي الأول: العادة المبتدأة أو المكررة، لا تصلح أن تكون دليلا على النبوة: ذكر الآمدي أن بعض المتكلمين «منع جواز اطراد الخارق لظنه أن ذلك مما يَجُرُّ إلى إبطال النبوات» [(١)]. وهو نفس اعتراض البراهمة الذين ذهبوا إلى أن «ثبوت الشيء على الندرة مرة أو مرتين لا يخرج من قبيل الخوارق، وإذا توالى وتكرر كان معتادا، ولا ينضبط ما يلحق المعتاد من غير المعتاد فلا يعلم ما هو الخارق»[(٢)]، وقد بَيَّن الرازي الاحتمالات التي أوردوها لنفي دلالة الخارق على صدق الرسول، وَعَدَّ منها: «الاحتمال الأول: العادات قد تكون متكررة في أزمنة متقاربة وقد تكون متكررة في أزمنة متباعدة. مثل: إن العادة جارية بحدوث الصيف في كل سنة مرة واحدة، وبحدوث قران العُلْوِيَّيْن[(٣)] في كل عشرين سنة مرة واحدة. فلم يلزم من عدم حدوث مثل هذا الحادث بعد هذه المدة، أن لا يكون حدوثه لأجل إنه ابتداء عادة؟ الاحتمال الثاني: لعله حدث لأجل أنه تكرير عادة متباعدة. مثل: أن الكواكب الثابتة تنتهي إلى أول برج الحمل في كل ستة وثلاثين ألف سنة مرة واحدة. فلعل هذا الحادث الذي حدث، إنما حدث لأنه تكرير عادة متطاولة متباعدة»[(٤)].

---

(١) أبكار الأفكار في أصول الدين (٤/ ٥٧).

(٢) شرح الإرشاد في أصول الاعتقاد: مظفر بن عبد الله المصري المشهور بالمقترح (ص: ٧٦٥)، دراسة وتحقيق: الدكتورة نزيهة امعاريج، مركز أبي الحسن الأشعري، للدراسات والبحوث العقدية، سلسلة ذخائر من تراث الأشعري.

(٣) العلويّين: «زحل والمشتري يقترنان في كلّ عشرين سنة مرّة» تاريخ ابن خلدون (١/ ٤١٦).

(٤) المطالب العالية من العلم الإلهي: الإمام الرازي (٨/ ٥٧)، تحقيق الدّكتور أحمد حجازي السّقا، ط.١، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٨٧م.

الرأي الثاني: ذهب إلى أن كون الخارق بداية لعادة جديدة، أو تكرار لعادة قديمة لا يتعارض مع صلاحيته ليكون حجة دالة على ثبوت النبوة وصدق الرسول، **وقد رجح ذلك العديد من العلماء:**

- يقول عبد الرحمن بن مأمون النيسابوري(ت ٤٧٨هـ): «فإن قيل: من المقدور أن يجرى الله عادة لم تعهد قبلها ولو اطردت واستمرت لم يكن معجزة. وهذا الذي ظهر لا يؤمن أن يكون ابتداء عادة. فيقال لهم: لو قال نبّي من الأنبياء: آية صدقي أن يقلب الله العادة ويطردها على خلاف ما هو معتاد لكان دليلًا على صدقة لأن النادر الواحد إذا دلّ على صدقه مع عود العادة إلى ما كان قبلها فلأن يَدُلّ عادة مطردة على خلاف ما كان معهود على صدقة أولى»(١).
- يقول الآمدي(ت ٦٣١هـ) ردا على شبهة القائلين بالمنع: « وعن -يعني الشبهة- الثانية والعشرين: القائلة بجواز اطراد الخارق ...أما جواز اطراد الخارق فقد منع بعض المتكلمين منه لظنه أن ذلك مما يَجُرُّ إلى إبطال النبوات وليس كذلك فإنه وإن استمر واطرد فلا يخفى أن خرق العادة، واطراد ما ليس بمعتاد من أعظم الخوارق للعادة فلا يمتنع أن يكون ابتداؤه، ودوامه معجزا، وبتقدير أن يكون فى جانب اطراده غير خارق فلا يخفى أن ابتداءه، ودوامه معجز، وبتقدير أن يكون فى جانب اطراده غير خارق فلا يخفى أن ابتداءه بالنسبة إلى الحالة المتقدمة خارق والتحدى إنما وقع بالابتداء الخارق، لا بما هو مطرد، وليس بخارق اللهم إلا أن تكون دعواه ظهور الخارق من غير اطراد فإنه إذا ظهر الخارق واطرد لا يكون دليلا على صدقه»(٢).

---

(١) المغني= الغنية في أصول الدين: الإمام أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد المأمون المتولي الشافعي (ص: ٥٠).

(٢) أبكار الأفكار في أصول الدين (٤/ ٥٧).

- وهذا هو الرأي الذي نسبه الآمدي للقاضي الباقلاني(ت ٤٠٣ هـ)، يقول: «والّذي اختاره القاضى أبو بكر أن ما كان من التكرار غير موجب لأنس النفوس باعتياد خرق العادات فهو آية»[١].
- ويقول: أبو العز المقترح (ت ٦١٢ هـ) على شبهة عدم انضباط الخارق بزعم أنه ابتداء أو تكرار، يقول: «والجواب: أن عدم الانضباط بقدر مخصوص لا يمنع من حصول العلم؛ فإنا نعلم ضرورة أن إحياء الموتى، وتقطع الجبال، وصيرورة البحر فرقا كالأطواد مما يخالف العادة، ولا يُسْتَرَابُ في ذلك لأجل ما ذكروه »[٢]. ويقول: « لا ينفي كون الأول خارقا للعادة السابقة، ولو قال النبي: (آيتي أن يقلب الله -تعالى- العادة بعادة مطردة)، لكان ذلك معجزة، فلم يكن لما ذكروه وجه منقدح في النظر»[٣].

تعقيب:

يرى أصحاب الرأي الأول أن تكرار المعجزة ينفي صفتها الخارقة، ويحولها من فعل خارق للمعتاد إلى فعل معتاد، مما يضعف حجيتها في إثبات النبوة. أما أصحاب الرأي الثاني فيرون أن كون الخارق بداية لعادة جديدة أو تكرارًا لعادة قديمة لا يتعارض مع صلاحيته ليكون حجة دالة على ثبوت النبوة. فالنيسابوري يؤكد: إذا كان النادر الواحد يدل على الصدق، فاستمرار اطراده يكون دليلًا أصدق. أما الآمدي والباقلاني فيؤكدان على صلاحية أن يكون التحدي متمثلًا في بداية الخارق، لا في استمراره. أما المقترح فيضيف أن الخوارق الكبرى، مثل إحياء الموتى، تظل معجزات، حتى لو تكررت، ولا يمنع تكرارها من قوة دلالتها.

---

(١) المصدر السابق (٤/ ٥٨).

(٢) شرح الإرشاد في أصول الإعتقاد (ص: ٧٦٥).

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.

وترجح الدراسة الرأي الثاني الذي يشير إلى صلاحية العادة المبتدأة أو المكررة في للدلالة على تصديق الرسول، وذلك لأنه يتوافق مع العلم وسنن الله في الكون، وفي نفس الوقت يحفظ للمعجزة قوتها في الدلالة على ثبوت النبوة، وبيان ذلك فيما يلي:

أ- العلاقة بين الظاهرة الكونية التي تتكرر على فترات زمنية متباعدة، وتُفْهَم بوصفها ظواهر خارقة وبين القانون الطبيعي علاقة مشتبكة. علميا: يعد تكرار حدوث ظاهرة معينة، حتى وإن كان على فترات زمنية متباعدة، دليلا على وجود نمط أو قاعدة تحكم هذه الظاهرة. مما يعد أحد المؤشرات الأساسية على وجود قانون طبيعي.

ب- من ناحية أخرى، يمكن أن يكون وصف الظاهرة بالخارقة نتيجة لعدم فهم القوانين التي تحكمها بشكل كامل. لذلك، يمكن أن يُنظر إلى تكرار حدوث الظواهر المتباعدة على أنه دليل على وجود نظام أو قانون طبيعي، حتى وإن لم يكن هذا القانون مفهومًا بشكل كامل حاليًا.

جـ- هذا الرأي يحفظ للمعجزة قوتها في الدلالة على ثبوت النبوة وصدق الرسول، ذلك أن حدوث المعجزة في وقت معين، وفي مكان محدد، وعلى يد شخص ونبي معين، وأمام قوم محدَّدِين، يُضْفِي على هذه الظاهرة بُعدًا خاصًا يتجاوز مجرد كونه حدثًا مألوفا. هذا التخصيص يجعل من المعجزة دليلًا قويًا على صدق الرسول، لأن الظاهرة لم تحدث بشكل عشوائي، بل وقعت في سياق يشهد على النبوة. أضف إلى ذلك أن علم الرسول بموعد حدوث هذه الظاهرة أو موعد تكراراها، ومكانه، ممّا يدل على علمه الغيب وصدقه.

د- وأيضا فإن هذا الرأي يحفظ لسنن الله اطرادها، لما يحققه من توافق مع مبادئ العلوم ومناهجا، حيث إذا نظرنا للمعجزة بوصفها ابتداء لعادة جديدة، أو تكرار لعادة متباعدة، أمكننا نسبة نشأتها أو تكراراها لقانون، وبذلك يكون

خرق العادات لتصديق الرسول حاصلا وفق سنن الله وقوانين الوجود، لا تضدها، ومن ثَم تنتظم قوانين الطبيعة فيما بينها من حيث الخصوص والعموم، ولا يقيد هذا الرأي من قدرة الله سبحانه وتعالى على التصرف في الكون، أو خرق نواميسه، بل يظهر أن الله تعالى اختار أن يُظهر قدرته في هذه الظاهرة على هذا النحو المخصص وفق إرادته وعلمه وقدرته وحكمته.

المسألة الرابعة: مدى إمكان أن يكون الإعجاز بخرق تصورات العقل، لا ناموس الكون!

ما المانع أن يكون التحدي بالخوارق إنما هو تحدي لتصوراتنا العقلية، ومعلوماتنا عن العالم ونواميسه؟! ولا يلزم من خرق تصوراتنا للعالم ونواميسه أثناء مشاهدة المعجزة أن تكون (نواميس العالم) مخروقا في الحقيقة والواقع! ربما كان هذا بداية عادة أو تكرار لعادة قديمة كما سبق أن ذكرت الدراسة، فيكون التحدي بالإعجاز لإثبات النبوة وصدق الرسول إنما هو تحدي لتصورنا للعالم ونواميسه! الذي اعتدناه وألفناه بمرور السنين. بذلك يكون الإعجاز ابستمولوجيا (معرفيا) وليس أنطولوجيا(وجوديا). إن كثيرا من أقوال العلماء والفلاسفة التي تتحدث عن محدودية العقل عن فهم المعجزات؛ يمكن أن يدعم هذا الرأي، ومن هذه الأقوال:

- يقول القديس أوغسطين(ت ٤٣٠م): «الطبيعة هي مشيئة الله، ولهذا فإن العجيبة (المعجزة) ليست مضادة للطبيعة، بل مضادة لمعرفتنا بالطبيعة»[١].
- يقول الفيلسوف الهولندي باروخ اسبينوزا (ت ١٦٧٧م): «المعجزة مجرد عمل يتجاوز حدود الفهم الإنساني أو نعتقد أنه كذلك»[٢].

---

(١)موسوعة الفلسفة (٤٤٩/٢).

(٢)رسالة في اللاهوت والسياسة (ص ٢٢٧)، ترجمة حسن حنفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٦م.

- وذهب ليبنتز (ت ١٧١٦م) إلى أن «المعجزة تندرج في النظام العام للكون، ولا تختلف عن الحادث الطبيعي. إلا في الظاهر وبالنسبة إلينا نحن»(١).
- يقول الشيخ محمد عبده (ت ١٩٠٥م): «غَايَة مَا فى الْأَمر أننا لَا نعرفها-يعني النواميس الخاصة بخوارق العادات- ولَكنَّا نرى أَثَرهَا على يَد من اختصه الله بِفضل من عِنْده»(٢).
- يقول الشيخ المراغي(ت١٩٤٥م): «إن الله تعالى خلق الإنسان محدود الإدراك والحواس، لا يفهم إلا ما كان في متناول يده ويقع تحت إدراكه وحسه، فإن رأى شيئا فوق طاقته اجتهد في رده إلى ما يَعْرِف، فإذا لم يستقم له ذلك وقف حائرا مدهوشا، ولا سيما إذا تكرر ذلك أمامه، فكان من لطف الله بعباده أن تظهر المعجزات على يد الأنبياء على طريق التدرّج حتى لا تصطدم بها عقول معاصريها دفعة واحدة»(٣)، ويقول أيضا: «ليس للعقل أن يحكم أن أىّ المعجزات أعظم من الأخرى، لأنه يتكلم عن مجهول هو مِنْ صُنْعِ الله لا يعرفه، فلا يمكن الإنسان مهما ارتقى عقله أن يصل إلى صنعها، بل هى فوق قدرته»(٤)، ويقول: «ولا يعرف الإنسان لها-يعني للمعجزات- قاعدة ولا يدرك طريقا لصنعها»(٥).
- يقول الشيخ الصادق عرجون (١٩٨٠م): «الذين ينكرون المعجزات تَعَلُّلًا بمألوف السنن الكونية ومعروف العقول وقضايا العلم يريدون أن يُخْضِعُوا جلال الألوهية وعظيم سلطانها لسلطان عقولهم في حدود ما يعرفون من سنن

(١) موسوعة الفلسفة (٢/ ٤٥١).
(٢) التوحيد لمحمد عبده (ص: ٤٥).
(٣) تفسير المراغي (١/ ١٢٦).
(٤) المصدر السابق نفس الصفحة.
(٥) المصدر السابق نفس الصفحة.

الحياة المشهودة لهم، وهذا غرور بليد لأن ما عرف من سنن الحياة تافه قليل إلى جانب ما لم يعرف»[١].

- يقول الدكتور مصطفى محمود: «المعجزات صنوف من النظام... لكن أعلى من مداركنا والله ... يشهدنا على عقل أكبر من استيعابنا »[٢]، ويقول أيضا: «المعجزة في تصورك عمل بهلواني وخرق للقانون، ولكن الحقيقة غير ذلك. مثلا.. لو أنه قُدِّر لك أن تعود ثلاثة آلاف سنة إلى الوراء، ثم تدخل على فرعون مصر في ذلك الزمن البائد ومعك ترانزستور في حجم علبة الثقاب يتكلم ويغني من تلقاء نفسه... ترى ماذا سيكون حال فرعون وحاشيته؟... سيهتفون في ذهول بلا شك معجزة.. سحر.. لا معقول.. خرق لجميع القوانين.. ولكننا نعلم الآن أنه لا إعجاز في الموضوع ولا سحر، ولا خرق لأي قانون... بل إن ما يحدث في داخل الترانزستور هو أمر يجري حسب قوانين في علم الإلكترونيات.. وإنه معقول تمامًا وسيكون الأمر أعجب لو أنك دخلت على ملك بابل وفي يدك تليفزيون ينقل الصور من بلاد الروم.. وسوف يصفق ملك آشور عجبًا لو أنك أدرت له أسطوانة بلاستيك فتكلمت....» [٣] إن هذا الرأي يؤكده طبيعة المعرفة البشرية ومحدوديتها، فنحن ليس لدينا علم بكل ظواهر الكون! وليس لدينا علم بكل القوانين الحاكمة لهذه الظواهر، والعلم التجريبي يتحرك ويتغير باستمرار، بالتالي فإن حكمنا بأن ظاهرة ما غريبة وخارقة، يعني أنها خارقة لتصورنا عن الكون، لكننا لا ندري-بطريق علمي قاطع- إن كانت هذه الظاهرة خارقة لناموس الكون على الحقيقة أو لا.

---

(١) معجزات الأنبياء بين العقل والعلم: محمد الصادق عرجون (صـــ ١٩)، مطبعة دار نشر الثقافة، مصر، ١٩٥٥م.

(٢) حوار مع صديقي الملحد: الدكتور مصطفى محمود (ص: ١٨٧)، دراسة وتقديم وتعليق د.محمد عمارة، منشورات مجمع البحوث الإسلامية، الازهر الشريف، ٢٠١٧م.

(٣) المرجع السابق (ص: ١٨٥).

المبحث الثالث

الظواهر الخارقة وإمكانية التفسير السببي والموافقة لقوانين الطبيعة

الإيمان بأن الله تعالى قادر مختار، يقتضي أنه لا توجد أي موانع في الإيمان بأن الإله الذي خلق نظام العالم، قادر على خرقه أو تغييره أو تحديده أو تعطيله أو حتى هدمه. يقول الشيخ محمد عبده: «إننا بعد الِاعْتِقَاد بِأَن صانع الْكَوْن قَادر مُخْتَار يسهل علينا الْعلم بِأَنَّهُ لَا يمْتَنع عَلَيْهِ أَن يحدث الْحَادِث على أي هَيْئَة وتابعا لأى سَبَب »[1]، فكون الله قادرا يفعل ما يشاء ويختار، أمر مُسلم به، وهو خارج عن محل النزاع، والذي هو انكار وقوع المعجزات، لمناقضتها لقانون الطبيعة، وهو ما ينتهي إلى إنكار دلالاتها على تصديق الرسول، لذلك فإن الدراسة هنا تبحث فرضية هل الخوارق يمكن أن تكون متوافقه مع نواميس العالم! في نفس الوقت الذي تكون فيه صالحة لإثبات تصديق الرسول!

المسألة الأولى: خوارق العادات وأسبابها:

يرى السادة الأشاعرة أن المعجزة الدالة على تصديق الرسول هي فعل لله تعالى. فالشرط الأول للمعجزة عندهم أن تكون فعلا لله، يقول القاضي الإيجي: «الشَّرْط الأول أَن يكون-يعني المعجز- فعل الله ...وَإِنَّمَا اشْترط ذَلِك لِأَن التَّصْدِيق مِنْهُ أَي من الله تَعَالَى لَا يحصل بِمَا لَيْسَ من قبله»[2].

ومع ذلك، تظل هناك مسألة مهمة: هل استناد الأمر «الخارق المعجز» لفعل القادر المختار يكون على سبيل الابتداء المباشر أم من خلال توسيط الأسباب؟ وما هي طبيعة هذه الأسباب؟ وهل هي قابلة لإدراك العقل وتصوره أم لا؟ تباينت الإجابات بين العلماء والفلاسفة:

---

(١) التوحيد لمحمد عبده (ص: ٤٥).

(٢) شرح المواقف (٣/ ٣٤٢).

- السادة الأشاعرة: ذهبوا إلى أن المعجزة ممكنة، وجميع الممكنات لا فرق بينها في استنادها إلى الله تعالى مباشرة وفقا للقاعدة الأشعرية التي تؤكد أن «جميع الممكنات مستندة إلى الله تعالى القادر المختار ابتداء وبلا واسطة»[١]، ومن ثم ذهب الأشاعرة إلى نفي أسباب الخوارق المادية، يقول الشيخ محمد الحسيني الظواهري: «المعجزة والكرامة أمران خارقان للعادة لا يمكن للعقلاء الاهتداء إلى سبب لهما، فهما مستندان إلى الواجب القادر ابتداء من غير سبب»[٢]، ونفي الأسباب المادية هو المذهب الأشهر، لأن « الفطرة انطوت على أن كل ما لا يُعرف له سبب فالآتي به مظهر للخالق سبحانه إن لم يكن هو الخالق نفسه»[٣].
- الشيخ محمد عبده، وتلميذه الشيخ رشيد رضا، ذهبا إلى أن المعجزة قد يكون لها «أسبابا خفية روحية لم يطلع الله الأمم عليها ولكنه خص بها الأنبياء – عليهم السلام –»[٤]. وانتقد الشيخ رشيد رضا القول المشهور بنفي وجود سبب للخوارق، يقول: «وإنما كان هذا هو المشهور–يعني خلق المعجزة بغير سبب–؛ لأنه الظاهر، وإلا فمن ذا الذي يستطيع أن ينفي ذلك النفي المطلق عن عالم الغيب؟»[٥]، وقد نسب الشيخ رشيد رضا القولين إلى «الإمام الغزالي والأستاذ الإمام في رسالة التوحيد»[٦].

---

(١) عمدة المريد شرح جوهرة التوحيد (٢/ ٩٦٤).

(٢) التحقيق التام في علم الكلام: محمد الحسيني الظواهري (ص: ١٥٩)، ط.١، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٣٩ م.

(٣) تفسير المنار (١١/ ١٢٨).

(٤) المرجع السابق (١/ ٢٦١).

(٥) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٦) المرجع السابق نفس الصفحة.

وسواء كان حدوث المعجزات بخلق مباشر، أو بتوسط للأسباب، فالمتفق عليه أن لها أسبابا بحسب الظاهر والمشاهد–بغض النظر هل هي أسباب حقيقية أو لا؟–يقول الشيخ المراغي: «إن الله تعالى كان قادرا على تفجير الماء وفلق البحر بلا ضرب عصا، ولكنه جلّت قدرته أراد أن يعلم عباده ربط المسببات بأسبابها ليسعوا في الحصول على تلك الأسباب بقدر الطاقة»(١).

إن السادة الأشاعرة ركزوا في مذهبهم على تنزيه الله وانفراده بالخلق والإيجاد بشكل أكبر من مراعاتهم لمبدأ حرية الإنسان. إذ اعتبر الأشاعرة أن جميع ظواهر وموجودات الكون في وجودها وتغيرها تستند إلى الله تعالى القادر المختار ابتداء وبلا توسط للأسباب، هذا المبدأ يعكس حرصهم الشديد على تأكيد توحيد الله في فاعليته فليس هناك في العالم شريك له سبحانه في الفعل والخلق والتغيير والإيجاد، وإذا اعتقد الإنسان بأن الأسباب هي المؤثرة كان متهما بشرك الأسباب مع الله. ويواجه هذا الأصل الأشعري انتقادات عديدة، منها معارضته للحرية الإنسانية الموجبة للتكليف، ولذا عرف البعض الأشاعرة بـــأنهم أصحاب «الجبر المتوسط»، ومن أهم التحديات المعاصرة التي تواجه هذا المبدأ ما يتعلق بالجانب الأخلاقي: فـــ«الظلم والشرور والمعاصي» كلها ممكنات واقعة في العالم، وهي وفقا لهذا المبدأ؛ مستندة إلى الله تعالى ابتداء وبلا وساطة، يوظف الملحدون واللادينيون هذه المزاعم في القدح في الحكمة والعدالة والرحمة الإلهية، صحيح أن علماء الأشاعرة قَدَّمُوا ردودا على ذلك، لكن تبقى القضية مشكلة مركزية في الفلسفة الأشعرية والفكر الديني والكلامي على وجه العموم، وتحتاج إلى مزيد بحث وتحليل ومراجعة، والفكر الأشعري بمفرداته الثرية قادر على تقديم معالجات مناسبة توفق بين العلم والدين والفلسفة.

---

(١)تفسير المراغي (١/ ١٢٦).

المسألة الثانية: المعجزات وخضوعها لقوانين الطبيعة:

في منتصف القرن السابق تساءل الشيخ محمد الصادق عرجون: «هل تقبل نصوص الدين وروحه أن تُفَسَّر معجزات الأنبياء تفسيرا علميا يجعلها تندرج تحت قاعدة من قواعد هذا العلم أو قضية من قضاياه أو تُرد إلى شيء من التشبيه بهذه الاختراعات الحديثة لكي يؤمن بها العقل؟ وإذا لم يمكن تفسير المعجزات تفسيرا علميا ولا تقبل نصوص الدين وروحه تفسيرا كذلك، فهل يمكن أن تُرَدَّ تلك المعجزات إلى قوانين وجودية يؤمن بوجودها العقل الإنساني وإن لم يدرك حقائقها وتفاصيلها؟»[1] وهكذا فإن خوارق العادات، وعلاقتها بقوانين الطبيعة تثير نقاشا فلسفيا حادا، ليس في الغرب وحده، بل بين العلماء والمفكرين المسلمين.

إن الإيمان بالخوراق يمثل ركيزة أساسية للاعتقاد الديني في ثبوت النبوات، وتعد دليلًا قويا على وجود قوى عليا تتجاوز حدود العالم المادي. لكن من جهة أخرى تُشكّل قوانين الطبيعة، المُستَنْتَجَة من المنهج العلمي، إطارًا ثابتًا لفهمنا للكون، وتُمثّل تحديًا معرفيًا أمام قبول الظواهر التي تُخالف مسارها الطبيعي، وقد برز هذا التناقض بوضوح في مقولة الفيلسوف ديفيد هيوم الشهيرة: «القول بالمعجزات معناه إنكار القوانين الطبيعية. إذن المعجزات مستحيلة»[2]. ففي رأيه، تُشكّل قوانين الطبيعة نظامًا مُحكمًا، وبالتالي فإنّ أي ظاهرة تخرقه لا يمكن اعتبارها حقيقية.

وفي محاولة للتغلب على هذا الإشكال، سعى العديد من الفلاسفة إلى تقديم تفسيرات للخوارق تهدف إلى دمجها مع قوانين الطبيعة، من هؤلاء مفكري

---

(١) معجزات الأنبياء بين العقل والعلم: محمد الصادق عرجون (صـ ٨).

(٢)موسوعة الفلسفة (٢/ ٤٥١) .

مدرسة الإصلاح الأزهرية، فالشيخ محمد عبده مثلا، ذهب إلى أن «الإيمان- بالمعجزات- لا يمنع من الاهتداء بسنن الله – تعالى – في الخلق واعتقاد أنها لا تتبدل ولا تتحول، كما قال الله في كتابه»(١).

ومع ذلك، واجهتْ هذه المحاولات مقاومةً شديدة، حيثُ رآها البعض تشكيكًا في قدرة الله تعالى. فقد ذكر سبينوزا أنّ «العامة يرون في المعجزات أوضح برهان على وجود الله تعالى والتصديق بالنبوة وأن الايمان بها أمر ضروري للخلاص ولذا فإن أي محاولة لتفسير هذه المعجزات بعللها الطبيعية المباشرة ستُعَدُّ في نظرهم إنكارا لوجود الله واسقاطا لعنايته»(٢).

لكن مع تطور النزعات العلمية التجريبية يصير السؤال أكثر إلحاحا، تُرى كيف تتوافق الخوارق مع قوانين الطبيعة ونواميس الكون؟

أولا: تبرير المعجزة وفقا للقدرة الإلهية، هو الأمر الشائع في الكتب الكلامية، لكن يُعْرَض بصيغ مختلفة، والإمام الغزالي رغم اشتهاره بنفي السببية الطبيعية إلا أنه قَدَّم صيغةً لتبرير الخوارق وفقا لقدرة الله، لكنه تبرير له طابع علمي خاص، يقول: «إن الله يغير الأشياء في وقت أقرب مما عهد فيه، وكذلك إحياء الميت وقلب العصا ثعبانًا يمكن بهذا الطريق وهو أن المادة قابلة لكل شيء فالتراب وسائر العناصر يستحيل نباتًا ثم النبات يستحيل عند أكل الحيوان دمًا ثم الدم يستحيل منيًا ثم المني ينصب في الرحم فيتخلق حيوانًا، وهذا بحكم العادة واقع في زمان متطاول فلم يحيل الخصم أن يكون في مقدور الله أن يدير المادة في هذه الأطوار في وقت أقرب مما عهد فيه، وإذا جاز في وقت أقرب فلا ضبط للأقل فتستعجل هذه القوى في عملها ويحصل به ما هو معجزة

(١)تفسير المنار (١/ ٢٦١).

(٢)رسالة في اللاهوت والسياسة صـــ٢٢٣

النبي»[1]. يُقدم الإمام الغزالي هنا تفسيرًا علميًا لخوارق العادات يتوافق مع المبدأ السببي بشكلٍ كبير، فإنّ الله تعالى يملك القدرة على التحكم في المادة وتغيير مسارها في زمن أقصر مما هو معتاد عليه في الطبيعة. مثلا يمكن تحويل التراب إلى نبات، ثم دم ثم مني، خلال فترات زمنية طويلة. لكن الله تعالى يملك القدرة على تسريع هذه العمليات الطبيعية بشكلٍ هائل، وبالتالي يمكن اعتبار المعجزات، مثل تحويل العصا إلى ثعبان، تسريع لعمليات طبيعية موجودة بالفعل، وكأن هذه التغيرات تعمل من خلال قوانين الطبيعة نفسها، ولكنّها تُطبّق بسرعة خارقة للعادة.

ثانيا: رصدت الدراسة طريقين للتوفيق بين المعجزات والقوانين الطبيعية، هي:

- ✓ اعتبار أن المعجزات نسق من قوانين الطبيعة العامة، وليس خرقا لقوانين الطبيعة.
- ✓ اعتبار أن المعجزات خاضعة لنواميس خاصة غير نواميس الطبيعة العامة.

أولا: اعتبار أن المعجزات نسق من قوانين الطبيعة العامة، وليس خرقا لقوانين الطبيعة:

يُقدم لنا الرأي الفلسفي الذي يعتبر المعجزات نسقًا من قوانين الطبيعة العامة، وليس خرقًا لقوانينها، منظورًا بديلًا لفهم هذه الظواهر الاستثنائية. فبدلًا من اعتبارها خرقًا لقوانين الطبيعة، يرى أتباع هذا الرأي أنّ المعجزات تُمثل مظاهر لِقوانين طبيعية غير مكتشفة بعد. وأن الدهشة التي تُصيبنا عند مشاهدة المعجزة لا تُعزى إلى مخالفة الظاهرة لقوانين الطبيعة، بل إلى غرابتها على عقولنا وتصوراتنا المحدودة. فما نعتبره "خارجًا عن المألوف" اليوم قد يُصبح

(١) تهافت الفلاسفة: الإمام الغزالي (ص: ٢٤٦)، تحقيق الدكتور سليمان دنيا، الطبعة السادسة، دار المعارف، مصر.

مفهومًا علميًا شائعًا في المستقبل. وهذا هو الرأي الشائع عن الفلاسفة المؤلهين الغربيين:

- ✓ القديس أوغسطين: يرى أن «الطبيعة هي مشيئة الله، ولهذا فإن العجيبة (المعجزة) ليست مضادة للطبيعة، بل مضادة لمعرفتنا بالطبيعة» (١).
- ✓ ليبنتز: يرى أن «المعجزة تندرج في النظام العام للكون، وبالتالي لا تختلف عن الحادث الطبيعي، إلا في الظاهر وبالنسبة إلينا نحن»(٢).
- ✓ اسبينوزا: يرى أنه «لا شيء يحدث في الطبيعة إلا وهو تابع لقوانينها المطردة وأن هذه القوانين تسري على ما يتصوره العقل الإلهي وأن للطبيعة نظاما ثابتا لا يتغير ولا يمكن خرق هذا النظام بما يسمى المعجزات لأن ذلك معناه إبطال هذا النظام وتعطل لقوانينه»(٣).
- ✓ ادوار لوروا: ذهب إلى أن «المعجزة ليست واقعة استثنائية، ولا يمكن أن تكون لها علة مختلفة عن العلل الطبيعية؛ إنها لا تتميز من سائر الوقائع الطبيعية، إذ لا توجد حادثة خاصة»(٤).
- ✓ هيوستن(Houston): ذهب إلى أن «المعجزة: "لا تتضمن خرقًا للطبيعة كما يفترض البعض، وإنما هي مجرد إدخال لسبب خارجي، مثلًا إدخال طاقة أو قوة (force) أو أي عامل فيزيائي آخر لم يكن موجودًا، والحدث الناتج بعد إدخال هذا العامل لن يُعَــدّ مخالفًا لأي قوانين مفترضة»(٥).

---

(١)موسوعة الفلسفة (٢/ ٤٤٩).

(٢)المرجع السابق (٢/ ٤٥١).

(٣)رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٢١.

(٤)موسوعة الفلسفة (٢/ ٤٥١).

(5) Houston, Joseph, 1994, Reported Miracles: A Critique of Hume, Cambridge: Cambridge University Press. P. 109

نقلا عن نقد إشكالات هيوم على مفهوم المعجزة: رضا زيدان، صـــ ٦.

وقد تَحَمَّسَ لهذا الرأي من المفكرين العرب المعاصرين الدكتور مصطفى محمود، إذ ذهب إلى أن المعجزات شأنها شأن بقية الظواهر المحكومة بقوانين طبيعية، والفرق بين المعجزة وبقية الظواهر ليس في خرق القوانين، وإنما في تفاضل القوانين في الوقوع والظهور، يقول: «نحن أمام تفاضل قوانين وليس أمام خرق قوانين.. فالماء يصعد في ساق النخلة ضد الجاذبية وليس بخرق هذه الجاذبية وإنما بمجموعة قوانين فسيولوجية تتفاضل معها.. هي قانون تماسك العمود المائي وقانون الخاصة الشعرية، وقانون الضغط الأسموزي، وهي جميعها قوانين تؤدي إلى شد الماء إلى أعلى. نحن دائمًا لا نخرج عن العقل ولا عن المعقول» [1]، وذكر الدكتور مصطفى محمود مثالا لتقريب هذه الفكرة، يقول: «إن التاريخ ليحفظ لنا قصة المُسْتَعْمِرِينَ في أفريقيا.. لما حَطَّت أول طائرة لهم في الغابة وسط البدائيين.. ماذا حدث؟ سجد الزنوج العراة على وجوههم ودقوا الطبول وذبحوا القرابين وظنوا أن الله نزل من سماواته وتصوروا فيما يحدث خرقًا لجميع القوانين.. مع أننا نعلم الآن أن الطائرة تطير بقانون وتنزل بقانون.. وأنها مُصَمَّمَة حسب القوانين الهندسية المُحْكَمَة، وأن طيرانها أمر معقول تمامًا، وأنها لا تَخرق قانون الجاذبية، وإنما تتجاوز هذا القانون بقانون آخر هو قانون الفعل ورد الفعل...» [2]، وأكد الدكتور مصطفى محمود أن الدهشة التي تعتري الإنسان وقت حدوث المعجزة سببها الجهل وعدم الخبرة، وليس سببها خرق قانون الطبيعة نفسه، يقول: «وإنما كانت دهشة الزنوج البدائيين مردها جهلهم بهذه القوانين.. وكذلك دهشتك أمام شق موسى للبحر وإخراجه للثعبان من العصا، وإحياء عيسى للموتى، ودخول إبراهيم للنار بدون أن يحترق.. تصورت أنها لا معقول وخرق للقوانين، وبهلوانيات.. في

(١) حوار مع صديقي الملحد (ص: ١٨٦).

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

حين أنها تجري جميعها على وفاق المشيئة الإلهية التي تتفاضل مع جميع القوانين التي نعرفها»[١].

ثانيا: اعتبار أن المعجزات خاضعة لنواميس خاصة غير نواميس الطبيعة العامة:

يرى بعض المفكرين والفلاسفة أن المعجزات تخضع لنواميس وقوانين خاصة غير النواميس العامة للطبيعة التي نعرفها، لكن هذه القوانين لا تُمثل خرقًا لهذه القوانين العامة وإنما تتحرك معها بالتوازي في ظروف خاصة ومعينة، وقد تَحَمَّسَ لهذا الرأي عدد من علماء مدرسة الإصلاح والتجديد الأزهرية، وغيرهم، من هؤلاء:

- الإمام محمد عبده: يقول: «فَإِن قيل إِن ذَلِك لَا بُد أَن يكون تَابعا لناموس آخر طبيعى قُلْنَا: إِن وَاضع الناموس هُوَ موجد الكائنات فَلَيْسَ من الْمحَال عَلَيْهِ أَن يضع نواميس خَاصَّة بخوارق الْعَادَات»[٢].
- الشيخ محمد مصطفى المراغي: «إن المعجزات كلها من صنع الله، وهى سنة جديدة غير ما نشاهد كل يوم، فحركة الشمس وطلوعها من المشرق مع عظمها لا تحدث دهشة لتعوّدنا إياها، ولكن إن طلعت من المغرب دون المشرق كان معجزة وأحدث غرابة ودهشة مع أن الحركتين من صنع الله لا فارق بينهما، ولكى لا تحدث الصدمة حين حصول المعجزة يهيئ الله الظروف لتحمّلها، ويهيئ النبي لقبولها، ويهيئ الحاضرين لمشاهدتها وقبولها»[٣]، ويقول أيضا: «المخترعات العلمية مبنية على السنن العلمية، مهما ظهرت مدهشة كالكهرباء و(التليفون) وغاية ما هناك أن العلماء

(١) المرجع السابق (ص: ١٨٦-١٨٤).
(٢) التوحيد لمحمد عبده (ص: ٤٥).
(٣) تفسير المراغي (١/ ١٢٦).

سَخَّرُوها لأغراضهم، فالذى يتكلم في أوربا ويُسْمَع صوته في مصر بوساطة (الراديو) إنما استطاع ذلك؛ لأنه قد استخدم الهواء الذي يحمل أمواج الصوت إلى العالم كله، وهكذا حال سائر المختَرَعات، إنما هي كشف لناموس إلهي يتكرر دائما على يد كل إنسان، لكن المعجزات تجري على طراز آخر، فهي خلق سنة جديدة في الكون، ولا تتكرر إلا بإذن الله»[١].

- الشيخ الصادق عرجون: يقول: «سنن الله في الكون أَجَلّ ...أعظم من أن تكون حبيسة في دائرة عقولنا المحدودة وأن منها سننا عامة معهودة متعارفة وسننا خاصة تقع أحداثها عندما تتهيأ لها أسبابها ومقوماتها وخوارق العادات التي يجريها الله تعالى على يد أنبيائه ورسله من سنن الله وعادته في الكون ولكنها سنن خاصة جعلها الله عنوانا على صدق رسله وتكريمهم»[٢].
- مايكل ليفي: ذهب إلى أن «المعجزة مخالفة لقانون الطبيعة لكنها ليست منتهكة له، لأنه لو افترضنا أن قوانين الطبيعة غير شمولية بمعنى أنها لا تغطي إلا الأسباب الطبيعية المعروفة فليس هناك تعارض إذن في افتراض أن حدثا مستحيلا فيزيائيا يمكن أن يحدث لأنه لا يزال داخل نطاق الممكن منطقيا»[٣].

تعقيب عام:

أولا: كلا القولين يظهر حرصا على الحفاظ على السنن الإلهية الكونية، واطرادها، وعدم إخلالها وخرقها، وقد أكد القرآن الكريم على إحكام هذه السنن قال تعالى: {فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣) } [فاطر:

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) محمد الصادق عرجون: معجزات الأنبياء بين العقل والعلم، صـــ ١٦

(3) Levine, Michael, 1989, Hume and the Problem of Miracles: A Solution, Dordrecht: Kluwer Publishers. P. 67

نقلا عن نقد إشكالات هيوم على مفهوم المعجزة: رضا زيدان، صـــ ٦.

٤٣، ٤٤]، وقال تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) } [القمر: ٤٩]، وقال تعالى: {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥)} [الرحمن: ٥]، وقال تعالى: {مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ} [الملك: ٣].

ثانيا: رفض الشيخ الصادق عرجون اعتبار المعجزات نسق من قوانين الطبيعة العامة، وليس خرقا لقوانين الطبيعة، يقول «نصوص الدين وروحه لا تقبل تفسير المعجزات تفسيرا علميا يجعلها مندرجة تحت قاعدة من قواعد العلم المعروفة للناس؛ لأنها حينئذ تخرج من حقيقتها الإعجازية، وهذا في الحقيقة غير ممكن في كل ما ثبت ثبوتا قاطعا أنه معجزة وقع بها التحدي»(١).

ثالثا: يمكن القول: إن النتيجة النهائية لكلا القولين – اعتبار معجزات الأنبياء خاضعة لنواميس خاصة غير نواميس الطبيعة العامة، أو اعتبارها جزءًا من قوانين الطبيعة العامة وليس خرقًا لها – هي واحدة:

أ- فالقول الأول يعتبر المعجزات جزءًا من قوانين الطبيعة العامة التي لم تُفهَم بعدُ بشكل كامل.

ب- والقول الثاني، يعتبر المعجزات خاضعة لنواميس خاصة تتجاوز القوانين الطبيعية المعروفة.

بالتالي يمكن اعتبار خصوصية القوانين في القول الثاني، تعبيرا عن الغموض وعدم الفهم الذي عَبَّرَ عنه أصحاب الرأي الأول. ويجمعهما ضرورة مراعاة اطراد سنن الله في الكون والقول بتماسك القوانين الطبيعية وحمايتها من الخرق.

رابعا: إن الحكم العلمي أو الفلسفي بأن المعجزة خاضعة لقانون الطبيعة العام، أو لقوانين خاصة بها، هو حكم متعثر، إلا إذا تمكنا من فهم القانون الحاكم

(١) محمد الصادق عرجون: معجزات الأنبياء بين العقل والعلم، صـــ ٢٠.

للخوارق والمقارنة بينه وبين القوانين الطبيعية العامة المعروفة لدينا. دون هذا الفهم يبقى الحكم على خضوع المعجزة لقوانين معينة مجرد افتراض غير مؤكد. ومع ذلك، يمكننا القول بأن المعجزة خاضعة لقانون الطبيعة على وجه العموم بغض النظر عن كون هذا القانون (مكتشفا أو غير مكتشف)، بناءً على مبدأ اطراد السنن الكونية الذي يشير إلى أن جميع الظواهر في الكون تتبع نمطًا ثابتًا ومنظمًا ضمن الإطار الكوني. وبالتالي، يمكن اعتبار المعجزات جزءًا من النظام الكوني الشامل، وإن لم نتمكن بعدُ من فهم القوانين الخاصة التي تحكمها. إن هذا الافتراض يتماشى مع العقلانية العلمية والفلسفية التي ترى الكون كتجلي لنظام متكامل ومتناغم، حيث تعمل جميع الظواهر وفقًا لقوانين محددة، سواء كانت معروفة لدينا أم لا.

المسألة الثالثة: اشتباه النبي بالعالم، نتيجة اشتباه الخارق بالمعتاد لخضوعهما معا للقانون الطبيعي!

هل القول بأن معجزات الأنبياء خاضعة لقوانين طبيعية يعني أنه يمكن للعلماء الوصول إلى هذه القوانين؟ ومن ثم تكرارها إن كانت مما يُكَرَّر؟ أو توظيف المعرفة بها –إن كانت مما يُعرف بالملاحظة أو بمهارة خاصة– في إدعاء النبوة لمن ليس بنبي! ما هو الضمان في عدم اشتباه الخارق بغير الخارق؟ وعدم اشتباه النبي بالعالِم إذا ادعى العالِم النبوة؟ إنّ إمكانية الوصول إلى سر القوانين الحاكمة لخوارق العادات، من خلال التقدّم العلمي، تفتح المجال أمام احتمالاتٍ مُثيرة، منها:

- ✓ قد يتمكن العلماء من فهم آليات عمل هذه القوانين وتكرار هذه الظواهر في ظروف مُتحكّم بها.
- ✓ قد يُسوّغ البعض اكتشافه لهذه القوانين ادّعاء النبوة، مستندًا إلى قدرته على إنجاز هذه الخوارق.

فهل يمكن أن يصل العلماء إلى سر القوانين الحاكمة لخوارق العادات أو بعضها؟ ومن ثم تقع الخوارق على أيديهم؟ وهل الاحتمالات المترتبة على القول بإمكان ذلك تُسقط حجية المعجزة في إثبات النبوة؟

قديما، لم يكن العلم التجريبي بهذا التقدم والتطور الذي نشهده في عصرنا، لذا لم تأخذ مسألة وقوع الخوارق على يد (العلماء التجريبيين) مساحة كبيرة في الجدل الكلامي الإسلامي، كتلك المساحة التي أخذها الجدل حول وقوع الخوارق على يد السحرة والمشعوذين. لذا بحث هذا الموضع من الأهمية بمكان لمواكبة الدرس الكلامي بالتحديات المعاصرة.

وقياسا على وجهة النظر الكلامية السابقة؛ يمكننا القول: إن وقوع الخوارق على يد علماء الطبيعة ليس بأبعد من وقوعها على يد «مدعي الألوهية والساحر والدجال». غير أن العالِم استعان بالعلم، والسَّاحِر استعان بـــ«الجن والطَّلاسِم والتعاويز». قال الإمام الرازي: «المتكلمون قالوا: إنه يصح من الله تعالى إظهار خوارق العادات على يد من يدعي الإلهية»[(١)]،وقال الشيخ إسماعيل الحامدي في حاشيته على شرح الكبرى للسنوسي: «السحر، وهو خلق الخارق على يد الأشقياء: كالدجال وفرعون والجهلة الضالين المضلين»[(٢)]، وقال ابن حجر: «خرقُ العادةِ قد يقع للزنديق بطريق الإملاء والإغواء، كما يقع لِلصِّدِّيق بطريق الكرامة والإكرام، وإنما تحصل التفرقة بينهما باتباع الكتاب والسنة»[(٣)]...

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٣/ ٤١)، الإمام فخر الدين الرازي، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠هـــ.

(٢) حواش في شرح الكبرى للسنوسي (١/ ٤٤٨)، الشيخ اسماعيل بن موسى بن عثمان الحامدي، ط.١، مطبعة مصطفى بابلي الحلبي، ١٩٣٦م.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (١٢/ ٣٨٥)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـــ.

فوقوع الخوارق على يد علماء الطبيعة، ليس بأبعد من وقوعها على يد الساحر أو الزنديق أو مدعي الألوهية.

ويبقى الفرق أن العالِم حينما يُحَصِّل بعضَ أسرار الخوارق، فإنما يكون بتوفيق الله عز وجل، وبعد جهد وعناء وبحث واستقراء وملاحظة وتجربة، وَعُمْرٍ وسنين، أما النبي فَتَحْدُث على يديه بمحض فضل وتمكين من الله عز وجل وحده.

وعن قدرة العلماء على إعادة وتكرار نفس خوارق الأنبياء، فقد أجاز الكثير من المتكلمين تكرارها للولي، وعُرِفَ في ذلك قاعدتهم الشهيرة: «كل ما جاز خرقه لنبي جاز خرقه لولي» وانتقد أكثر السادة الأشاعرة مَنْ يجعلون خوارق الأولياء في الكرامات أقل درجة من خوارق الأنبياء بالمعجزات: يقول الإمام الجويني: «وصار بعض أصحابنا إلى أن ما وقع معجزة لنبي، لا يجوز وقوعه كرامة لولي؛ فيمتنع عند هؤلاء أن ينفلق البحر، وتنقلب العصا ثعبانا، ويحيي الموتى كرامة لولي، إلى غير ذلك من آيات الأنبياء؛ وهذه الطريق غير سديدة. والمرضي عندنا، تجويز جملة خوارق العوائد في معارض الكرامات»[1]، ويقول الإمام النووي:«الكرامات قد تكون بخوارق العادات على جميع أنواعها، ومَنَعَهُ بعضهم وادَّعى أنها تختص بمثل إجابة دعاء ونحوه، وهذا غلط مِن قائله، وإنكار للحس، بل الصواب جريانها بقلب الأعيان وإحضار الشيء من العدم»[2]، وقال الإمام اللقاني في شرحه على نظم جوهرة التوحيد: «فُهِمَ من إطلاق الكرامة في النظم ... جواز كونها من جنس ما وقع معجزة للأنبياء، كانفلاق البحر، وانقلاب العصا حية، وإحياء الموتى»[3]، وقال أيضا:

(١) الارشاد للإمام الجويني (ص: ١٢٩)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦ هـ.

(٢) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٠٨).

(٣) عمدة المريد شرح جوهرة التوحيد (٣/ ١١٨١).

«يجوز في الكرامات أن تقع بسائر وجوه خوارق العادات على اختلاف أنواعها، كقلب العصا حية، وكوجود ولد من غير أب»(١). وقال السعد التفتازاني: «المُجَوِّزُون –يعني لوقوع الكرامات– ذهب بَعضهم ... إِلَى امْتنَاع كَونهَا–يعني الكرامات– من جنس مَا وَقع معْجزَة لنَبِيّ كانفلاق الْبَحْر وانقلاب الْعَصَا وإحياء الْمَوْتَى. قَالُوا: وبهذه الْجِهَات تمتاز عَن المعجزات. وَقَالَ الإِمَام: هَذِه الطّرق غير سديدة، والمَرْضي عندنَا تَجْوِيز جملَة خوارق الْعَادَات فِي معرض الكرامات، وَإِنَّمَا تمتاز عَن المعجزات بخلوها عَن دَعْوَى النُّبُوَّة ... فَإِن قيل هَذ الْجَوَاز مُنَافٍ للإعجاز إِذْ من شَرطه عدم تمكُّن الْغَيْر من الْإِتْيَان بِالْمثل، بل مُفْضٍ إِلَى تَكْذِيب النَّبِي حَيْثُ يَدَّعِي عِنْد التحدي أَنه لَا يَأْتِي أحد بِمثل مَا أتيت بِهِ؛ قُلْنَا: الْمنَافِي هُوَ الْإِتْيَان بِالْمثل على سَبِيل الْمُعَارضَة، وَدَعوى النَّبِي أَنه لَا يَأْتِي بِمثل مَا أتيت بِهِ أحد من المتحدين لَا أَنه لَا يظْهر مثله كَرَامَة لوَلِيّ أَو معْجزَة لنَبِيّ آخر. نعم قد يَرِدُ فِي بعض المعجزات نَص قَاطع على أَن أحدا لَا يَأْتِي بِمثلِهِ أصلا كالقرآن، وَهُوَ لَا يُنَافِي الحكم بِأَن كل مَا وَقع معْجزَة لنَبِيّ يجوز أَن يَقع كَرَامَة لوَلِيّ، لنا على الْجَوَاز مَا مر فِي المعجزة من إِمْكَان الْأَمر فِي نَفسه وشمول قدرَة الله تَعَالَى وَذَلِكَ كالملك يصدق رَسُوله ببَعْض مَا لَيْسَ من عَادَته ثمَّ يفعل مثل ذَلِك إِكْرَاما لبَعض أوليائه»(٢)

فإن كان تكرار الخوارق الحسية للأنبياء جائزا بعدهم للأولياء؟! فما يمنع تجويزه للعالِم؟! وكلاهما بتوفيق الله سبحانه، بل يمكننا القول: إن العالِم إن كان

(١) هداية المريد لجوهرة التوحيد (٢٨٩)، الشيخ إبراهيم اللقاني، تحقيق الشيخ محمد الخطيب، ط.١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢م.

(٢) شرح المقاصد في علم الكلام (٢/ ٢٠٣)، من المخالفين الإمام القشيري، يقول: «واعلم أَن كثيرا من المقدورات يعلم اليوم قطعا أَنَّهُ لا يَجُوز أَن يظهر كرامة للأولياء وبضرورة أَوْ شبه ضرورة يعلم ذَلِكَ، فمنها حصول إِنْسَان لا من أبوين وقلب جماد بهيمة أَوْ حيوان وأمثال هَذَا كثير» الرسالة القشيرية (٢/ ٥٢٣).

صالحا كان توفيق الله له لمعرفة سر الخارق كرامة، وإن كان فاسدا كان توفيق الله له لمعرفة سرها استدراجا وابتلاء.

وإذا اعتبرنا قول السعد أن «الْمنَافِي–لحجية ثبوت النبوة بالمعجزة– هُوَ الْإِتْيَان بِالْمثْلِ على سَبِيل الْمُعَارضَة» في معرض تبريره لإمكان تكرار وقوع نفس خوارق الأنبياء على يد الأولياء ككرامات! إذا قِسْنَا ذلك على العلماء التجريبيين فلن يكون هناك أي إشكال في معرفة قانون الخارق، وتكراره، طالما كان العالم ملتزما بحدود خطابه العلمي، ولم يوظفه لأي دعوى دينية.

لكن لابد أن نأخذ في الاعتبار أن المعرفة النظرية بالقوانين لا تضمن بالضرورة القدرة على تسخير هذه القوانين بشكل عملي. فالمعرفة العلمية بالقوانين الكونية، مثل قوانين الفيزياء والكيمياء، توفر لنا إطارًا لفهم كيف تعمل الطبيعة، لكنها لا تعني بالضرورة أننا نستطيع استخدام هذه القوانين لإنتاج نتائج خارقة مشابهة لما قام به الأنبياء. على سبيل المثال، يمكن للعلماء فهم كيفية توليد البرق من خلال التفاعلات الكهربائية في الغلاف الجوي، لكن لا يمكنهم بسهوله إحداث برق بمحض إرادتهم في الظروف الطبيعية المعتادة. هذا التفاوت بين المعرفة النظرية والقدرة العملية يصبح أكثر وضوحًا عند محاولة تكرار الخوارق التي نسبت إلى الأنبياء، مثل نبع الماء من بين أصابع النبي أو شق البحر. فبالرغم من التقدم العلمي الهائل، يبقى تكرار هذه الظواهر الخارقة أمرًا متعذرًا أو صعب المنال، لكنه يبقى في دائرة الإمكان العقلي.

لكن تبقى المشكلة قائمة، لكن ضاقت دائرتها، إذ ستبقى محصورة في احتمال إذا ادعى العالِم النبوة، وعارض بالخارق الذي وقع على يديه، وتحدى به الناس، بالتالي سيشتبه العالِم بالنبي؟! فهل تقع الخوارق على يد العالِم مدعي النبوة؟

ذهب المتكلمون إلى امتناع وقوع الخوارق على يد مدعي النبوة، يقول الإمام الرازي: «لا يجوز إظهارها – يعني المعجزات – على يد من يدعي النبوة لأنه يوجب التلبيس»(١)، فإذا اعتمدنا هذا الجواب من الإمام الرازي، يمكننا القول بأن الخوارق يمكن أن يمتنع وقوعها من العالم التجريبي مدعي النبوة، لكن عدم وقوعها ليس لأنه عالم أو ليس لأن العلم التجريبي يعجز، ولكن لأنه ادعى النبوة. وكأن وقوع الخوارق على يد المدعي الكذاب، ممكن عقلا، ومستحيل شرعا، وفي الحقيقة كلا الجوابين إيماني أكثر منه فلسفي.

إن مسألة اشتباه النبي بالعالِم، لاشتباه الخارق بالعادي، قريبة إلى حد كبير من مسألة الاشتباه بين السحر والمعجزة، والذي ترجحه الدراسة هو أن المعجزات قرينة لا تدل منفردة على ثبوت النبوة، ولابد أن يصاحبها العديد من الحجج الأخرى، يمكننا بيان بعضها فيما يلي:

– الله يختار الأنبياء لأداء مهمات معينة، وهذا الاختيار يتضمن تعهدا وتربية وعناية إلهية خاصة منذ الميلاد إلى سن البعثة، تعهدا إلهيا يَبلغ فيه الأنبياء الغاية في الفطنة والذكاء والشرف والصدق والعفاف والأمانة وغيرها من الصفات الواجبة للأنبياء، والتي تجعل من يعرفهم يجزم بصدقهم إذا تجرد من أثر العصبية، يدل على ذلك ما ورد في السنة من أن رسول الله ﷺ «خرَج حتَّى أتى الصَّفا فصعِد عليها ثمَّ نادى: (يا صبَاحاه) فاجتمَع النَّاسُ إليه فبيْنَ رجُلٍ يجيءُ وبيْنَ رجُلٍ يبعَثُ رسولَه فقال ﷺ: (يا بني عبدِ المُطَّلبِ يا بني فِهْرٍ يا بني عبدِ مَنافٍ يا بني يا بني أرأَيْتُم لو أخبَرْتُكم أنَّ خَيلًا بسَفْحِ هذا الجبلِ تُريدُ أنْ تُغِيرَ عليكم أصدَّقْتُموني)؟ قالوا: نَعم قال: فإنِّي {نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ}

(١)مفاتيح الغيب (١٣/ ٤٢).

[سبأ: ٤٦]»[١] وأنه كان يُلَقَّب في قريش بالصادق الأمين[٢]، فالنظر إلى حال من يأتي بالخوارق المعجزات أمر ضروري لتمييز صدقه من كذبه، سواء كان عالما أو ساحرا أو مشعوذا قال الْمَازِرِيُّ: «وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْتَبَرَ بِحَالِ مَنْ يَقَعُ الْخَارِقُ مِنْهُ: فَإِنْ كَانَ مُتَمَسِّكًا بِالشَّرِيعَةِ، مُتَجَنِّبًا لِلْمُوبِقَاتِ، فَالَّذِي يَظْهَرُ عَلَى يَدِهِ مِنَ الْخَوَارِقِ كَرَامَةٌ، وَإِلَّا فَهُوَ سِحْرٌ؛ لِأَنَّهُ يَنْشَأُ عَنْ أَحَدِ أَنْوَاعِهِ؛ كَإِعَانَةِ الشَّيَاطِينِ»[٣].

- في التمييز بين العالِم التجريبي والنبي الحقيقي، يظهر الفرق الجوهري في طبيعة معرفتهما وقدراتهما. فالعالِم التجريبي يستند إلى العلم والمعرفة المكتسبة من خلال سنوات طويلة من الدراسة الدقيقة، والملاحظة المتأنية، والتجارب المتكررة، وهو حينما يأتي بظاهرة غريبة، فهي تنسب في الغالب إلى علمه ومهارته، لا إلى قوى غيبية داعمة له، على سبيل المثال، عندما يوضح عالم فيزيائي قانون الجاذبية عبر إسقاط جسم من ارتفاع معين وملاحظة تسارعه نحو الأرض، فإن نجاحه ليس معجزة، بل هو نتيجة لمنهجية علمية مفهومة. وعندما يقوم عالم الكيمياء بإنتاج الماء من تفاعل الهيدروجين مع الأكسجين، فهذا الإنجاز يُظهر معرفته بتفاصيل التفاعلات الكيميائية ومعرفة سابقة بقوانين الكيمياء، لكنه ليس معجزة. وبالمِثْل في علم

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ١٧) برقم (٢٨٠١) بهذا اللفظ، وأخرجه البخاري في «صحيحه» مواضع منها في كتاب: تفسير القرآن، باب {وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك} [الشعراء: ٢١٥] ألن جانبك (٦/ ١١١) برقم (٤٧٧٠)، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب في قوله تعالى: {وأنذر عشيرتك الأقربين} [الشعراء: ٢١٤] (١/ ١٩٣) برقم (٣٥٥) كلاهما –البخاري ومسلم– بألفاظ متقاربة.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١٧٠) .

(٣) فتح الباري: ابن حجر العسقلاني (١٠/٢٢٣).

الأحياء، عندما يتمكن عالم من استنساخ كائن حي من خلال تقنيات الهندسة الوراثية، فإن ذلك يعتمد على فهمه العميق للحمض النووي وتقنيات المختبر المتقدمة، وهو نتيجة للعلم والتجريب، وليس معجزة. أما النبي الحقيقي فيُظْهِر قدرات ومعجزات تتجاوز بكثير نطاق معرفته البشرية. المعجزة النبوية تأتي بشكل مفاجئ وتثير الدهشة؛ لأنها تحدث في سياق لا يمتلك فيه النبي أي معرفة أو تدريب سابق على الظاهرة التي تَحْدُث على يديه. على سبيل المثال، عندما يشق النبي البحر بعصاه أو يحيي الموتى، فإن هذه الأحداث تتجاوز نطاق معرفته البشرية. وهذا قريب إلى حد كبير من قول الإمام الجويني: «فما كان من المعجزات خوارق، فإنها تتميز تميزا قطعيا عن مراتب الصنائع البديعة، والأمور التي يختص بها خواص الناس. وهذا معنى خرق العادة في شرائط المعجزة»[(١)]، وابن تيمية قيَّد الفعل الخارق للعادة، بأنه يجب أن يكون مما يختص به الأنبياء، لا مما يحصل بالتعلم واستنتاج بعضه من بعضه حتى لو بلغ مبلغا غريبا غير مألوف لعادة الناس، «فإذا خصّ الله طبيبًا، أو نحويًا، أو فقيهًا بما ميّزه به على نظرائه، لم يكن ذلك دليلًا على نبوّته، وإن كان خارقًا للعادة؛ فإنّ ما يقوله الواحد من هؤلاء قد علمه بسماعٍ، أو تجربةٍ، أو قياسٍ.وهي طرقٌ معروفة لغير الأنبياء. والنبيّ قد علّمه الله من الغيب الذي عصمه فيه عن الخطأ ما لم يعلَمْهُ إلا نبيّ مثلُهُ»[(٢)] وقد سبق بيان ذلك.

- إذا ادعى العالم التجريبي النبوة، فإنه يسهل تكذيبه لأن جوهر النبوة يتعدى حدود العلم والتجريب ليشمل الرسالة والوحي والنظام التشريعي والأخلاقي.

(١) العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية (ص: ٢٢١).

(٢) النبوات لابن تيمية (١/ ١٧٣).

فالعالم التجريبي يمتلك مهارات ومعارف تجريبية مكتسبة من خلال سنوات من الدراسة والممارسة، ولكنه يفتقر إلى الوحي الإلهي الذي هو أساس الرسالة النبوية. ويحتوي على إرشادات وتشريعات تهدف إلى توجيه الإنسانية نحو الصلاح والعدالة. فالنبي الحقيقي ليس مجرد حامل لمعجزات وفقط، بل هو مؤسِّس لنظام أخلاقي وتشريعي متكامل. فالرسالة النبوية تتضمن دعوة إلى قيم أخلاقية سامية، وإلى نظام قانوني ينظم حياة الأفراد والمجتمعات بشكل شامل. هذا النظام يشمل العدالة، والرحمة، والإحسان، ويهدف إلى تحقيق التوازن والسعادة في الحياة الدنيا والآخرة. أما العالِم التجريبي، على الرغم من قدراته العلمية، لا يمكنه تقديم مثل هذا النظام المتكامل. وبالتالي، فإن ادعاءه النبوة يفتقر إلى العناصر الجوهرية التي تميز النبي الحقيقي، مما يجعل من السهل تكذيبه والتمييز بينه وبين النبي الذي يحمل رسالة إلهية تتجاوز حدود العلم البشري.

- وقياسا بديننا الإسلامي، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام هو خاتم الأنبياء، والختم بنبوته ثابت بالقطع والتواتر، بالتالي فظهور الخارق -مهما كان- إذا صحبه دعوى النبوة؛ فلا معنى له، سواء صدر هذا الخارق على يد عالم طبيعة أو على يد ساحر أو أي إنسان كائن مَنْ كان.

المسألة الرابعة: هل يمكن للعلم أن يتقبل وجود الظواهر الخارقة؟

العلم التجريبي لا يمكنه إصدار حكم علمي قطعي بأن هذه الظواهر؛ خارقة لناموس الكون أو لا، لعدة أسباب أهمها:

أ- أن القوانين العلمية ليست مطلقة أو نهائية، بل هي نماذج تفسيرية تَصِفُ علاقات الترابط بين الظواهر، بحسب الإدراك والرصد والتصور البشري المحدود، والذي قد يتطابق مع الحقيقة أو لا، يقول برتراند راسل: "القوانين

الطبيعية وصف للطريقة التي تتصرف بها الأشياء في الواقع"[١]، لذا فإن أكثر القوانين التجريبية تخضع دائمًا للتحسين والتعديل استنادًا إلى الأدلة الجديدة. يقول كارل بوبر: «النظريات العلمية تتغير بشكل دائم. وهذا ليس بسبب الصدفة البحتة، بل يمكن توقعه وفقًا لوصفنا للعلم التجريبي»[٢]. هذا يعني أن العلم لا يمكنه تقديم يقين مطلق بشأن الظواهر الخارقة، لأن المعرفة العلمية نفسها تتغير وتتكيف مع تطور الأدلة والتقنيات. يقول ليكونت دي نوي: «من المستحيل تماما تفسير جميع الحوادث التي تتعلق بالحياة وتطورها بواسطة العلم»[٣].

ب-العلم التجريبي بطبيعته يتعامل مع الظواهر التي يمكن ملاحظتها وقياسها وتجربتها، ومن ثم لا يمكنه إصدار حكم علمي قطعي بـــ(إثبات أو نفي) الأحداث الخارقة للطبيعة، والتي تروي النصوص الدينية أنها وقعت في الماضي. فظواهر مثل انفلاق البحر وإحياء الموتى ونبع الماء من بين الأصابع هي بالنسبة لنا ظواهر تاريخية لا يمكن للعلم أن يجزم بوقوعها أو عدم وقوعها. والعلم لا يستطيع أن يجزم بشكل قطعي بأنها مستحيلة لأنه لم يتمكن من دراستها في الظروف ذاتها التي يُقال إنها حدثت فيها.

عبر التاريخ، تم اعتبار العديد من الظواهر على أنها خارقة للطبيعة، حتى تم اكتشاف التفسيرات العلمية لها. على سبيل المثال: البرق كان يُعتبر علامة من الآلهة أو عقابًا إلهيًا، ولكن التفسير العلمي الحديث كشف أنه ناتج عن تراكم وتفريغ الطاقة الكهربائية بين السحب أو بين السحب والأرض. كذلك، التجاذب

(1) Bertrand Russell: Why I Am Not a Christian, p.6.

(2) Popper, Karl. The Logic of Scientific Discovery. Routledge, 2002 (First published 1959), p50

(٣) مصير البشرية: ليوكونت دي نوي،(صـــ٣٤)، ترجمة أحمد عزت طه، وعصام أحم طه، الطبعة الثالثة، دار اليقظة العربية، دمشق، ١٩٦٣م.

المغناطيسي كان يُعتبر قوة سحرية حتى اكتشفت العلوم أنه ناتج عن حركة الشحنات الكهربائية، مما يؤدي إلى قوى جذب ونفور بين الأجسام. الإغريق والصينيون القدماء كانوا على دراية بالأحجار المغناطيسية، ولكن فهم طبيعة المغناطيسية جاء في وقت لاحق مع تطور الكهرومغناطيسية بفضل علماء مثل جيمس كليرك ماكسويل(١).

ورغم ذلك فإن مساحة العلوم التجريبية تتسع باستمرار بشكل يسمح بتَقَبُّل إمكان حدوث هذه الظواهر، فمن منظور الاحتمالات والإحصاءات، يمكن تفسير المعجزات والخوارق كأحداث نادرة للغاية لكنها ليست مستحيلة. ففي الطبيعة، تحدث العديد من الظواهر بشكل يعتمد على التوزيعات الاحتمالية. حتى الأحداث ذات الاحتمالية الضئيلة جدًا يمكن أن تحدث إذا أُتيحت الفرصة الكافية. على سبيل المثال، يمكن أن يتسبب تجمع الظروف الخاصة والفريدة من نوعها في وقوع حدث يبدو خارقًا للطبيعة، والطبيعة تحتوي على نطاق واسع من الاحتمالات. لذا، يمكن اعتبار المعجزات كأحداث نادرة داخل هذا النطاق الواسع، مما يجعلها جزءًا من النظام الطبيعي دون الحاجة إلى خرق القوانين الطبيعية. هذه النظرة تساعد على تفسير الظواهر الخارقة كجزء من الاحتمالات الطبيعية التي قد تتجلى في ظل ظروف معينة.

(1) https://www.physicsclassroom.com/class/estatics/Lesson-4/Lightning
https://www.sciencelearn.org.nz/resources/239-lightning-explained
https://education.nationalgeographic.org/resource/lightning/
https://www.thoughtco.com/james-clerk-maxwell-inventor-1991689
https://www.britannica.com/biography/James-Clerk-Maxwell

المبحث الرابع

خوارق العادات وأطوار الحضارة الإنسانية

تشير القراءة التطورية للتاريخ الإنساني أن البشرية انتقلت من مراحل بسيطة إلى مراحل أكثر تعقيدًا ونضجًا، فالمجتمعات القديمة كانت معارفها محدودة، وتفكيرها العلمي قاصر، ومع تقدم الزمن، بدأت هذه المجتمعات تتبنى مناهج علمية أكثر دقة ومنطقية، وفيما يلي تقدم الدراسة وصفا للواقع العقلاني للبشرية في عصر طفولتها وعصر رجولتها:

- **أولا: طفولة النوع الإنساني:** تؤكد الكثير من دراسات التاريخ البشري أن الإنسان عاش دهرًا من الزمن، يشبه طور الطفولة، غَشِيَتْهُ فيه الأوهام والخرافات، وكثر بين الناس الدجالون والسحرة، فملكُوهم بسحرهم وكذبهم، وتحكموا في جميع أمور حياتهم. فما كان أحدٌ يُقدم على عملٍ إلا بعد استشارتهم، وصاروا كالرعاة للناس، عقولهم فاسدة، وآراؤهم كاسدة، وأفهامهم ساذجة، وبصائرهم قاصرة. فإذا برق برقٌ في السماء، ارتجفوا واضطربوا، وإذا نزلت صاعقة من السحاب، ماجوا وارتعبوا. وإذا أصابهم مرض، علقوا الأوراق لدفعه، أو استنجدوا براقٍ. وإذا نظر إلى أطفالهم ناظرٌ، حوطوهم بالتمائم، وأطلقوا حولهم بخور المباخر. وإذا كسفت الشمس أو خسف القمر، صاحوا ودقوا الدفوف وقرعوا الطبول، ظنًا منهم أن ذلك يُرضي آلهتهم(١).
- **ثانيا: طور النضج والرجولة:** مع مرور الزمن ودخول الحضارة في طور النضج، بدأت العقلانية تأخذ مكانها كقوة موجِّهة للفكر البشري، حيث أصبح الإنسان يعتمد بشكل أكبر على الملاحظة والتجربة والاستنتاج العلمي لفهم الظواهر الطبيعية والاجتماعية؛ مما أدى إلى تقدم هائل في مختلف العلوم، مثل الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا.

---

(١)راجع بتصرف مجلة المنار (١٢/ ١١٨).

في مرحلة النضج والرجولة للحضارة الإنسانية يمكن ملاحظة الابتعاد الكبير عن التفسيرات الميتافيزيقية والاتجاه نحو التفسير العلمي القائم على الأدلة والبراهين، وأصبحت التجربة هي المحك الرئيسي لاختبار صحة الفرضيات والنظريات، وازداد إيمان الإنسان بهذه الطرق في الفهم لما رأى أثر هذه المنهجيات في إشعال شرارة الثورة الصناعية والتطور التكنولوجي الذي نشهده اليوم. هذا التحول الجذري من التفسيرات الميتافيزيقية إلى التحليل العلمي يمكن اعتباره نضجًا فكريًا يعكس قدرات الإنسان المتزايدة على التفكير النقدي والتجريبي.

السؤال الآن: هل هذا يعني أن الأنبياء في طور طفولة الحضارة، كانوا مثل غيرهم من البدائيين ذوي تصورات ساذجة ؟ وهل الخوارق الدالة على ثبوت النبوة، كانت على نفس النوع في كلا الطورين؟ أم أن لكل طور من أطوار الحضارة ما يناسبه من خوارق ومعجزات؟

أولا: إن ما تدل عليه آثار الأنبياء من شرائع وحكمة، يؤكد أن الأنبياء منذ فجر الحضارة البشرية، ظهروا كقادة فكريين وروحيين مؤيدين بالوحي من الله، متجاوزين حدود السذاجة التي كانت تسيطر على معظم الناس في تلك العصور. بل كانوا يتمتعون بنضج عقلي وحكمة استثنائية، وهذا الذي مكنهم لأن يكونوا محرِّكين ناجحين في تطوير البشرية نحو النضج، والعلم والمنطق.

ثانيا: أما عن الشق الثاني من السؤال: هل الخوارق التي جعلها الله تعالى دليلا على ثبوت النبوة وصدق الرسل، كانت على نفس النوع والدرجة في كلا الطورين من تطور الحضارة؟ أم أن لكل طور من أطوار الحضارة ما يناسبه من خوارق ومعجزات؟

أولا: ذكر العديد من العلماء أن المعجزات التي أتى بها الأنبياء – عليهم السلام – ضربان:

– المعجزات الحسية: هي ما يُدْرَك بالبصر، كناقة صالح، وطوفان نوح، ونار إبراهيم، وعصى موسى – عليهم السلام، وهي معجزات يشترك في إدراكها

العامة والخاصة، وهي أوقع عند طبقات العامة، وآخذ بمجامع قلوبهم، وأسرع لإدراكهم، إلا أنه لا يكاد يفرق – بين ما يكون معجزة في الحقيقة، وبين ما يكون كهانة، أو شعوذة أو سحرًا، أو سببًا اتفاقيًا، أو مواطأة، أو احتيالًا هندسيًا، أو تمويهًا وافتعالًا – إلا ذو سعة في العلوم التي يُعرف بها هذه الأشياء.

- المعجزات العقلية: هي ما يُدْرَك بالبصيرة، كالإخبار عن الغيب تعريضًا وتصريحًا، والإتيان بحقائق العلوم التي حصلت عن غير تعلم، وهي معجزات يختص بإدراكها كَمَلَةُ الخواص من ذوي العقول الراجحة، والأفهام الثاقبة، والروية المتناهية، الذين يعنيهم إدراك الحق(١).

ثانيا: القراءة الشائعة في الأدبيات الدينية هي استمرار حدوث الخوارق سواء في شكل المعجزات أو الكرامات، وسواء كانت هذه الخوارق عقلية أو حسية، وذلك عبر التاريخ الحضاري الطويل للإنسان سواء في طور الطفولة، أو النضج.

ثالثا: هناك قراءة أخرى أرسى أفكارها علماء مدرسة الإصلاح والتجديد الأزهرية، تذهب إلى أن طور الطفولة الحضارية يناسبه من الخوارق ما لا يناسب طور النضج، فإذا كانت الخوارق كما سبق: «إما حسية وإما عقلية»، «فكأن الله – تعالى – في العصر الأول والبشر في طور الطفولية كان يتجلى لأبصارهم – يعني بالخوارق الحسية –، وفي العصر الثاني وهم في طور الرجولية صار يتجلى لبصائرهم–يعني بالخوارق العقلية– أكثر مما يتجلى لأبصارهم»(٢)، ويمكننا توضح ذلك فيما يلي:

---

(١) أنظر تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٤٢)، والإتقان في علوم القرآن (٤/ ٣).
(٢)مجلة المنار (١٢/ ١١٨).

أ- الخوارق الحسية، وطور الطفولة الحضارية:

طريقة التفكير في طور طفولة الحضارة البشرية كانت عاجزة عن التجريد ولذا ظلت محصورة في نطاق المحسوسات المادية، وتعتمد بشكل كبير على الحواس الخمس لتفسير الواقع من حولها، مكتفية بالظواهر السطحية والمرئية دون السعي لفهم المعاني الأعمق والمفاهيم المجردة التي تتجاوز حدود المادة المحسوسة. وقد انعكس هذا على ميول الناس الدينية، التي كانت تجنح باستمرار إلى منح الآلهة التي يعبدونها، سلطة التحكم في الكون وتنظيم شؤونه. فقد كانوا يؤمنون بوجود آلهة مختصة بالمطر والحب، والخصوبة والجمال والرياح.

فكيف يمكن التأثير على هذه العقول وإلزامها بالحجة؟

لما كانت هذه العقول -في هذه المرحلة المبكرة من تاريخ البشرية- لا تزال عاجزة عن التجريد الصحيح، وفهم المعنويات، والعلل بشكلها السليم، كانت إرادة الله تعالى لهدايتهم أن «يظهر لأبصارهم بأنبيائه ورُسله الكثيرين، وآياته ومعجزاته، وبعض مخلوقاته: كالجن الذين كانوا يسترقون السمع من الملأ الأعلى فيخبرون به بعض البشر»[1].

فماذا صنع الأنبياء؟ يذكر الشيخ رشيد رضا أن «الآيات الكونية كانت هي الآلات الجاذبة لهم -يعني لأقوامهم- إلى الإيمان بالتوحيد الذي هو المظهر الأكبر للعقول، وأنه لو أمكن جذبهم بالآيات العلمية الأدبية لما خرق الله على أيديهم شيئًا من الأمور العادية» [2].

فكيف ساعدت الخوارق الحسية الأنبياء في تبليغ رسالتهم إبان هذه الفترة؟ بالمعجزات والخوارق الحسية «خذلوا عن الناس من كانوا متسلطين على عقولهم من السحرة والمشعوذين؛ بما أجراه الله على أيديهم من المعجزات،

(١) مجلة المنار (١٢/ ١١٨).

(٢) المرجع السابق (٦/ ١٢).

وأظهره لهم من الآيات البينات التي تركت السحرة مغلوبين على أمرهم، حيارى في شأنهم، ولولا تلك الآيات لما قدر الأنبياء على تخليص أممهم من حبائل الدجالين والمحتالين، بل الأبالسة والشياطين، فكانوا إذا ظهرت تلك المعجزات بهرت منهم العقول، وحيرت الأفكار، وأعجزت السحرة، وأدهشت الناس، فيخضع المستعد منهم لهيبة من ظهرت على أيديهم. فيؤمنون له ويتبعونه، ويطيعونه فيما يأمرهم به {وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا} (الإسراء: ٥٩)، ثم يأخذ الله المعاندين الذين خالفوا ضمائرهم، وكابروا عقولهم وأبصارهم، ولم يميزوا بين الغالب والمغلوب، والصادق والكذوب، بأنواع من العقوبات تناسب أحوالهم جزاء لهم وعبرة لغيرهم؛ لعلهم يرشدون»[١] لقد علمهم الأنبياء «أن أولئك السحرة قوم مبطلون وأنه ليس لهم من الأمر – الذي يزعمونه – شيء وأن التصرف فيما وراء الأسباب التي يقدر على الوصول إليها الناس خاص بالله تعالى وحده، وأن تلك الأعمال التي يظهر بادي الرأي أنها عن اقتدار إنما هي {كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} (طه: ٦٩)، ولولا أن جاء كل نبي بمعجزة أو أكثر لما تسنَّى له جذب أولئك القوم الغلف القلوب، الغلاظ الرقاب، الضعاف الاستعداد»[٢].

وهكذا نجح الأنبياء بما أيدهم الله به من خوارق حسية في إقناع هذه العقول المادية ألتي صنعت آلهة للريح والخصوبة والمطر أن سنن هذه الظواهر ليست آلهة، وإنما أمرها بتدبير الله وحده، وليس بيد هذه الآلهة المزعومة التي لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا.

وهكذا **يؤكد الشيخ رشيد رضا أن البشر إبان عصر الطفولة الحضارية:** «كانوا في أشد الحاجة إليها–يعني إلى الخوارق الحسية–، وثبت أنهم انتفعوا بها

(١) مجلة المنار (١٢/ ١١٨).

(٢) المرجع السابق (٦/ ١٢).

في عقولهم ونفوسهم وفي أعمالهم ومعايشهم؛ ذلك لأنهم كانوا لم يرتقوا إلى معرفة العقائد ببراهينها ولولا أن جاء كل نبي بمعجزة أو أكثر لما تسنَّى له جذب أولئك القوم الغلف القلوب، الغلاظ الرقاب، الضعاف الاستعداد »[١].

وهذا الرأي أكده الأستاذ محمد فريد وجدي، يقول: قد مضى على النوع الإنساني زمن كان فيه العقل في دور الطفولة وكان يكفيه للإيمان أن يندهش لأمر خارق للطبيعة يعطل من سير نواميسها وقتا ما»[٢]، ويقول أيضا: «كان من سنة الله أن يرسل رسله إلى الناس بالمعجزات ليحملهم على الإذعان لهم، فإنهم كانوا في غلظ الشعور بحيث لا يتأثر إلا بما يؤثر عن خيالهم... »[٣].

ويمكننا اعتبار بني إسرائيل تعبيرا واضحا عن هذا الطور، واعتبار الخوارق الحسية لأنبياءهم مراعاة لحالهم، فهم من ناحية كان لديهم تصور قبلي للإله، فقد اعتبروا أنفسهم شعب الله المختار، ومن ثم فهم الأحق لأن يخرق الله قانون الوجود إرضاء لهم وحدهم، لاحظ ذلك اسبينوزا في قوله: «أصل القول بالمعجزات بهذا المعنى الخارق للعادة يرجع إلى اليهود القدماء فهم عندما قَصُّوا معجزاتهم كانوا يهدفون إلى إثبات أن الطبيعة كلها مسيرة لمصلحتهم وحدهم بأمر الإله الذي يعبدونه وكذلك أيضا إقناع المعاصرين لهم من غير اليهود الذين يعبدون آلهة أخرى منظورة ببطلان هذه الآلهة لأنها تتغير وهذا دليل على ضعفها وخضوعها للإله غير منظور»[٤]. ومن ناحية أخرى قد كان لدى بني

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢)محمد فريد وجدي: المدنية والإسلام، صـــ ٧١ و٧٢، المكتبة التجارية الكبرى مصر ١٩٣٣م بدون رقم الطبعة.

(٣)دارة معارف القرن العشرين (٦/٢٠١)، الأستاذ محمد فريد وجدي، دار الفكر، بيروت.

(٤)رسالة في اللهوت والسياسة ٢٢١، وللمزيد راجع المعجزة في فلسفة اسبينوزا: د.يحيى عبد العليم، المجلد الرابع من العدد الخامس والثلاثين لحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية.

إسرائيل بلادة في الإدراك والتصور، بعد أن أراهم الله الحق بأعينهم، عبدوا العجل، وقالوا لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، وأظهروا إلحاحا عجيبا في طلب الآيات والمعجزات المحسوسة من رسلهم، فكان إرادة الله بهم أن جعل الخوارق الدالة على إثبات النبوة لهم مناسبة لحالهم، يقول الإمام السيوطي: «أكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم»(١).

ب- الخوارق، وطور النضج الحضاري:

طريقة التفكير في طور نضج الحضارة البشرية، صار يمتلك قدرة فائقة على تجاوز المحسوسات السطحية والدخول في عوالم الأفكار المجردة والمفاهيم المعقدة، وصار يسيطر عليها المنطق والعلم والعقل في تفسيره للظواهر والأحداث، وامتلكت بذلك قدرة عظيمة على تحليل الأمور بعمق وتفكير نقدي.

هذه العقول صارت لا ترى في الخوارق الحسية التي تخرق نظام وقانون الطبيعة دليلًا على ثبوت النبوة؛ بقدر ما ترى تحقق هذا الدليل في توافر المعجزات-العقلية- التي تظهر الإحكام والاتقان والدقة العلمية والمنطقية في النظم التشريعية التي جاءت بها الأنبياء، هذا النوع من المعجزات يتناسب تمامًا مع طريقة تفكير هذه العقول، حيث يقدم لها نموذجًا من الإعجاز يتوافق مع معاييرها العقلية والعلمية، مما يجعلها تؤمن بصدق النبوة والإرشاد الإلهي في هداية البشرية نحو الخير والحق.

ذكر هذا القول وأكد عليه الأستاذ محمد فريد وجدي، يقول: «بلغ العقل أشده والنوع الإنساني رشده فلا تنفع فيه معجزة ولا تجدي فيه غريبة»(٢)، ويقول أيضا: «لأن القلوب قد رقت والعقول قد ارتقت والشعور قد تلطف فلم

(١) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٣).

(٢) محمد فريد وجدي: المدنية والإسلام، صـ ٧١ و٧٢، المكتبة التجارية الكبرى مصر ١٩٣٣م بدون رقم الطبعة

يؤيد رسوله بالمعجزات الخارقة لنظام الطبيعة فجعل معجزاته الحكمة وفصل الخطاب»[١].

ويمكننا اعتبار أمة النبي محمد ﷺ تعبيرا واضحا عن هذا الطور، واعتبار الخارق العقلي «القرآن الكريم» الذي أوحاه الله تعالى على قلب نبينا محمد ﷺ، هو الأنسب لمراعاة حال هذه الأمة، وهو تفسير أكده العديد من العلماء والمفكرين المسلمين:

- يقول الراغب الأصفهاني(٥٠٢ هـ): «وأكثر معجزات هذه الأمة عقليًا لذكائهم وكمال أفهامهم التي صاروا بها كالأنبياء، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: " كَادَتْ أُمَّتِي أن تَكُونَ أَنْبِيَاءَ "[٢].ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على وجه الدهر غير معرَّضة للنسخ، وكانت العقليات باقية غير مبتذلة، جعل أكثر معجزاتها مثلها باقية»[٣].
- يقول الإمام السيوطي(ت ٩١١هـ): «أكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذَوُو البصائر »[٤]، ويقول أيضا: «معجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه»[٥].

---

(١) دارة معارف القرن العشرين (٦/٢٠١)

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٣٣٢)، برقم (٢٥٤٦)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وفيه قول النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن الأمم: (نحن آخر الأمم، وأول من يحاسب، فتفرج لنا الأمم عن طريقنا، فنمضي غرا محجلين من أثر الطهور، فتقول الأمم: كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها).

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٤٣).

(٤) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٣).

(٥) المرجع السابق نفس الصفحة.

- يقول الشيخ محمد عبده(١٩٠٥م): «انتهى بذلك-يعني بختم النبوة- زمن المعجزات، ودخل الإنسان بدين الإسلام في سن الرشد، فلم تَعُدْ مدهشات الخوارق هي الجاذبة له إلى الإيمان وتقويم ما يعرض للفطرة من الميل عن الاعتدال في الفكر والأخلاق والأعمال، كما كان في سن الطفولية (النوعية) بل أرشده – تعالى – بالوحي الأخير (القرآن) إلى استعمال عقله في تحصيل الإيمان بالله وبالوحي، ثم جعل له كل إرشادات الوحي مبينة معللة مدللة حتى في مقام الأدب. فإيماننا بما أيد الله – تعالى – به الأنبياء من الآيات لجذب قلوب أقوامهم الذين لم ترتق عقولهم إلى فهم البرهان، لا ينافي كون ديننا هو دين العقل والفطرة، وكونه حتم علينا الإيمان بما يشهد له العيان، من أن سننه – تعالى – في الخلق لا تبديل لها ولا تحويل»[١].
- يقول الشيخ رشيد رضا (ت ١٩٣٥م): «إن الله تعالى جعل نبوة محمد قائمة على قواعد العلم والعقل...لأن البشر قد بدءوا يدخلون في سن الرشد ... الذي لا يخضع عقل صاحبه فيه لاتباع مَنْ تصدر عنهم أمور عجيبة مخالفة لنظام الكون... بل هو من موانعه، فجعل حجة نبوته عين موضوع نبوته وهو كتابه المعجز للبشر بهدايته وعلومه وإعجازه اللفظي والمعنوي ليربي البشر على الترقي في هذا الاستقلال، إلى ما هم مستعدون له من الكمال»[٢].
- يقول الشيخ محمد فريد وجدي(ت ١٩٥٤م): «لقد كان من سنة الله أن يرسل رسله بالمعجزات الخارقة لنظام الطبيعة – فجعل معجزاته – يعني نبينا ﷺ – الحكمة وفصل الخطاب وإحقاق الحق وإزهاق الباطل والتغلب على العقول والأرواح بمحض الدعوة والسيرة الصالحة فكانت معجزاته أبلغ المعجزات»[٣]

(١) تفسير المنار (١/ ٢٦١).
(٢) المرجع السابق (١١/ ١٢٨).
(٣) دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي (٢٠١/٦) .

- يقول الشيخ محمود شلتوت(ت ١٩٦٣م): «أما نبينا ﷺ فإن الذي أعطاه الله إياه من المعجزات كان غير الذي أعطاه للأنبياء السابقين كان وحيا يسمع ويفهم ويعقل فيدرك العقل منه جهات إعجازه ولا ينقرض زمنه ولا يموت صاحبه»[١]

وهذا الرأي ليس مهجورا أو غريبا، بل يستمد أصوله من السنة النبوية، وأفهام علماء المسلمين لها، فقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه اللَّه إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»[٢] ذكر الكثير من الشراح أن من المعاني التي يحتملها نص الحديث أن الخوارق الحسية قد انقرضت وبقيت المعجزة العقلية وهي القرآن الكريم.

- يقول الإمام أبو العباس القرطبي(ت ٦٥٦ هـ): «يعني -واللَّه أعلم- أن معجزات الأنبياء قبله لما أظهرها اللَّه على أيديهم، وآمن بها من شاء أن يؤمن من أممهم، انقرضت بانقراض أعمار أنبيائهم، ولم يبق منها إلا الإخبار عنها، بخلاف القرآن، فإنه باق إلى آخر الدنيا، مُشَاهَدًا إعجازه، قائمًا حجته، المتقدمون والمتأخرون فيه سواء، فكثر الناظرون فيه والمؤمنون، فكثر أتباع النبي - ﷺ - لذلك»[٣].

---

(١) الفتاوى دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية والعامة: الشيخ محمود شلتوت: صـ٤٩، الطبعة الثامنة عشر، دار الشروق، ٢٠٠١م.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» في كتاب: فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي، وأول ما نزل (٦/ ١٨٢) برقم (٤٩٨١)، ومسلم صحيح مسلم في «صحيحه» في كتاب: الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته (١/ ١٣٤) برقم (٢٣٩).

(٣) اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه (٤/ ١٤٢)، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، ط.١،: دار النوادر، دمشق – سوريا، ٢٠١٤م.

- يقول الإمام النووي(ت ٦٧٦هـ): «والثالث-يعني من التفسيرات المحتملة- معناه أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم ولم يشاهدها إلا من حضرها بحضرتهم ومعجزة نبينا ﷺ القرآن المستمر إلى يوم القيامة مع خرق العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات وعجز الجن والإنس عن أن يأتوا بسورة من مثله مجتمعين أومتفرقين فى جميع الأعصار مع اعتنائهم بمعارضته فلم يقدروا وهم أفصح القرون مع غير ذلك من وجوه إعجازه المعروفة والله أعلم»(١).
- ويقول ابن حجر(ت ٧٩٥هـ): «قيل المراد أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات فلا يمر عصر إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه وهذا أقوى المحتملات وتكميله في الذي بعده»(٢)، ويقول أيضا: «قيل المعنى أن المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار كناقة صالح ...ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لأجلها أكثر لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمرا»(٣).

إن القول بتقديم المعجزات العقلية على المعجزات الحسية، ليس مجرد إدعاء معاصر وفقط، ولكنه اجتهاد مدعوم ببراهين عقلية سليمة، وفيما يلي بعضا منها:

- ذهب ابن رشد إلى أن الخوارق الحسية مهما بلغت قوتها إلا أنها ظنية، بخلاف المعجزات العقلية والتي تمثل براهينا قوية لا سبيل للتشكيك فيها،

(١) شرح النووي على مسلم (٢/ ١٨٨).
(٢) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٧).
(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

يقول: «دلالة القرآن على نبوته ﷺ ليست هي مثل دلالة انقلاب العصا حية على نبوة موسى – عليه السلام– ولا إحياء الموتى على نبوة عيسى ... فإن تلك وإن كانت أفعالًا لا تظهر إلا على أيدي الأنبياء، وهي مقنعة عند الجمهور، فليست تدل دلالة قطعية إذا انفردت؛ إذ كانت ليست فعلًا من أفعال الصفة التي بها سُمِّي النبي نبيًّا، وأما القرآن فدلالته على هذه الصفة هي مثل دلالة الإبراء على الطب، ومثال ذلك لو أن شخصين ادَّعَيَا الطب، فقال أحدهما: الدليل أني أسير على الماء. وقال الآخَر: الدليل أني أُبْرِئ المرضى. فمشى ذلك على الماء وأبرأ هذا المرضى، لكان تصديقنا بوجود الطب للذي أبرأ المرضى ببرهان، وتصديقنا بوجود الطب للذي مشى على الماء مقنعًا من طريق الأولى والأحرى، ووجه الظن للذي يعرض للجمهور ذلك أن مَن قدر على المشي على الماء الذي ليس من وضع البشر فهو أولى أن يقدر على الإبراء الذي هو من صنع البشر»[1]. فالإبراء من المرض يدل دلالة قطعية على الطب لأنه فعل من أفعال الطب، بينما المشي على الماء، رغم أنه فعل خارق، لا يدل بنفس الدرجة على الطب. وبالتالي، القرآن يدل دلالة قطعية على نبوة النبي ﷺ لأنه من جنس ما يختص به النبي، بخلاف المعجزات الحسية التي قد تكون مقنعة لكنها ليست بنفس درجة اليقين.

- إن الخوارق الحسية للأنبياء السابقين، انقرضت بموتهم، ولم يبقى عنها عند أصحابها سوى الأخبار المتناثرة، التي كثر التشكيك فيها في طور البشرية العلمي المعاصر، لكن المعجزة العقلية الخاتمة، وهي القرآن هي التي حفظت بيان هذه المعجزات الحسية، ومن ثم فالخوارق الحسية القديمة تستمد حجيتها من المعجزة العقلية القرآنية الباقية، يقول محمد رشيد رضا: «جملة القول: إن نبوة محمد – ﷺ – قد ثبتت بنفسها، أي بالبرهان العلمي والعقلي الذي لا

(١) الكشف عن مناهج الأدلة (صـ ١٨٤-١٨٥).

ريب فيه، لا بالآيات والعجائب الكونية، وأن هذا البرهان قائم ماثل للعقول والحواس في كل زمان، وأنه لا يمكن إثبات آيات النبيين السابقين إلا بثبوت نبوته – ﷺ – وهذا القرآن الذي جاء به، فالحجة الوحيدة عليها في هذا الطور العلمي الاستقلالي من أطوار النوع البشري هو شهادته لها. فإن الكتب التي نقلتها لا يمكن إثبات عزوها إلى من عزيت إليهم؛ إذ لا يوجد نسخ منها منقولة عنهم باللغات التي كتبوها بها لا تواترا ولا آحادا، ولا يمكن إثبات عصمتهم من الخطأ فيما كتبوه على اختلافه وتناقضه وتعارضه، ولا إثبات صحة التراجم التي نقلت بها، كما قلنا آنفا وبيناه بالتفصيل مرارا»[1]. فالخوارق الحسية للأنبياء السابقين لا يمكن التأكد منها في العصر العلمي الحالي إلا من خلال القرآن الذي يعتبر البرهان العقلي الدائم والمعجزة الباقية التي تحفظ بيان تلك المعجزات الحسية.

وهنا سؤال: كيف يقال إنه ببعثة النبي ﷺ انتهت الخوارق الحسية، وقد ثبت في الأخبار أن له معجزات حسية؟! ثم كيف تكون بعثة النبي ﷺ فاصلا بين طوري الحضارة «الطفولة والنضج»، وقد ثبت أن للأنبياء السابقين معجزات عقلية تمثلت في كتبهم الإلهية المقدسة«التوراة والإنجيل»؟!

الثابت بالتواتر أن المعجزة الأساسية للنبي ﷺ هي القرآن الكريم «وكان الذي أوتيته وحيا»، ومع ذلك فقد أشارت الكثير من المرويات إلى العديد من الخوارق الحسية، وبعيدا عن الخلاف حول ثبوتها وتواترها، فإن بعض الدراسات ذكرت أن هذه المعجزات الحسية لم يكن الهدف منها تصديق الرسول، بل كانت لإفحام المعاندين جاء في مجلة المنار: «وأما ما أظهره الله – تعالى – على يديه من المعجزات الحسية، فلم يكن يراد به إلا إفحام المعاندين

(١)تفسير المنار (١١/ ١٢٨).

المستهزئين، والزيادة في تثبيت المهتدين»[1]، وذهب الشيخ رشيد رضا أن هذه المعجزات إنما كانت من باب الرحمة بالنبي ﷺ وأتباعه، يقول: «ما أكرمه الله تعالى به من الآيات الكونية فلم يكن لإقامة الحجة على نبوته ورسالته، بل كان من رحمة الله تعالى وعنايته به وبأصحابه في الشدائد: كنصرهم على المعتدين عليهم من الكفار الذين يفوقونهم عددا واستعدادا بالسلاح والطعام، وناهيك بغزوة بدر والنصر فيها، ثم بغزوة الأحزاب إذ تألب المشركون واليهود على المسلمين وأحاطوا بمدينتهم فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال. من تلك الآيات شفاء المرضى وإبصار الأعمى وإشباع العدد الكثير من الطعام القليل في هذه الغزوة وفي غزوة تبوك كما وقع للمسيح عليه السلام، ومنه تسخير الله السحاب لإسقاء المسلمين، وتثبيت أقدامهم التي كانت تسيخ في الرمل ببدر، ولم يصب المشركين من غيثها شيء، ومثل ذلك في غزوة تبوك إذ نفد ماء الجيش في الصحراء والحر شديد حتى كانوا يذبحون البعير ويخرجون الفرث من كرشه ليعتصروه ويبلوا به ألسنتهم على قلة الرواحل معهم، وكان يقل من يجد من عصارته ما يشربه شربا، فقال أبو بكر: يا رسول الله إن الله عودك في الدعاء خيرا فادع لنا فرفع يديه فدعا فلم يرجعهما حتى كانت السماء قد سكبت لهم ماء ملئوا ما معهم من الروايا ولم تتجاوز عسكرهم[2]»[3]. وهو احتمال قريب لا سيما وأن الخوارق الحسية للأنبياء عند الأمم السابقة كانت تأتي بناء على طلبهم واقتراحهم، وكان الله تعالى يجريها على يد الأنبياء تحديا

---

(١)مجلة المنار (١٢/ ١١٨).

(٢)أخرجه البزار في «مسنده، المسمى البحر الزخار» (١/ ٣٣١) برقم (٢١٤)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١/ ٥٢) برقم (١٠١)، وابن حبان في «صحيحه» (٤/ ٢٢٣) برقم (١٣٨٣) وصححه.

(٣)تفسير المنار (١١/ ١٢٨).

للمعاندين من أقوامهم، أما الخوارق الحسية للنبي ﷺ فلم تأت وفق طلب واقتراح المعاندين من قومه، بل وأغلبها لم تكن في حضرتهم من الأساس، ومعظمها دل السياق فيه أنها كانت دعما للمؤمنين، وهذا لا يمنع أن يكون فيها زيادة لليقين، وترسيخا للإيمان في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم.

أما عن وجود المعجزات العقلية للأنبياء قبل عصر النبي ﷺ، فلم تكن معجزات عقلية كاملة، بل كانت معجزات عقلية محدودة تتناسب مع الرسائل الخاصة لكل نبي من الأنبياء، وليس في التوراة والإنجيل أي تعبير عن التحدي الصريح بمضمون الكتاب على الإتيان بمثله أو ببعضه، القرآن على النقيض يتحدى الناس في كل زمان ومكان أن يأتوا بمثله أو حتى بسورة واحدة منه، وهذا التحدي المستمر يُعَدُّ من أبرز مظاهر الإعجاز في القرآن. وأمارة اعتبار التوراة والإنجيل معجزة عقلية غير مكتملة أن الإنجيل جاء كتابا خاليا من أية منظومة تشريعية، أما التوراة فمنظومتها التشريعية مخصوصة، فعلى الرغم من أن التوراة تحتوي على الكثير من الأحكام والقوانين إلا أنها كانت موجهة لبني إسرائيل في سياق تاريخي محدد. أما القرآن على الجانب الآخر يُعتبر شريعة كاملة وشاملة لكل جوانب الحياة، ويتميز بمرونته في التعامل مع متغيرات الزمان والمكان، مما يجعله مناسبًا لكل عصر وكل مجتمع. ولم تزعم اليهودية يوما أن التوراة كتاب تبشيري لهداية البشر كافة، ناهيك عما لحق التوراة من تحريف أدخل فيها نصوصا تحض على العنف والكراهية والعنصرية والتمييز، بخلاف القرآن الذي بقي متنه محفوظا من يوم أن نزل وحتى الآن.

وأخيرا: إن محاولات علماء مدرسة الإصلاح الأزهرية تقديم تفسيرات جديدة للمعجزة تتقبلها قوانين العلوم، لم يكن أبدا إنكارا لها، ولكن هو من ناحية محاولة للتوفيق بين الدين والعلم، ومن ناحية أخرى محاولة لعلاج وإصلاح الواقع الاجتماعي المهزوم، من خلال التأكيد على قيمة السعي والعمل، واتباع

سنن الله المادية في بناء النهضة والحضارة، يقول الشيخ رشيد رضا: «ومن أصول دينه أن زمن الوحي والمعجزات قد انتهى به فلن يعود، وأن لله في الخلق سننًا لن تتغير ولن تتبدل، وأن الأمور تُطلب بأسبابها، وأنه ليس وراء الأسباب شيء إلا معونة الله تعالى وتوفيقه... فثبت بهذا أن الدين القيم الذي يمكن أن يتفق مع العلم في كل زمان هو هذا الدين الذي يحكم بأن زمن المعجزات قد مضى ولا يُكَلَّف الآخذ به بأن يعتقد بخارقة على يد أحد الناس بعد الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام »[1]. إن هذه القراءة تقدم معالجة لمسألة الانهزام الحضاري، من خلال التأكيد أنه ببعثة النبي ﷺ، وانتهاء نزول الوحي «خلص العقل البشري من الأوهام والخرافات والترهات، وأصبح طريق العلم أمامه واضحًا لا يحجبه عنه حاجب، ولا يقف أمامه فيه واقف. ولئلا يبقى هناك ثلمة في نفس أحد من المؤمنين، يصل إليه منها شيطان من الشياطين، نَصَّ الكتاب العزيز نصًّا صريحًا لا يقبل التأويل على أن الغيب علمه عند الله لا يعلمه إلا هو، وأن الأمور كلها بيد الله، يصرفها كما يشاء لا يراعي فيها مجاملة أحد من عباده، فقال مخاطبًا لرسوله ﷺ: {قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (الأعراف: ١٨٨) »[2]. وإننا نجد ذلك في تربية النبي ﷺ لأصحابه، فبينما اتكل بنو إسرائيل على الخوارق والمعجزات، وطلبوا من موسى أن يأتيهم الله بالعدس والبصل، نجد أن أصحاب النبي ﷺ، وهو يملك أن يأتيهم بالخوارق إلا أنهم سلكوا طريق الأسباب، فعبد الرحمن بن عوف لم يكتف بالدعاء، ولم يسأل النبي معجزة خارقة تعيد إليه بعضا من ماله

(١)مجلة المنار (٦/ ١٢).

(٢)مجلة المنار (١٢/ ١١٨).

المنهوب، ولكن قال «دلوني على السوق»[١]، إن «المعجزة التي تنتظر حدوثها الأرواح الخاملة، لترفع مجتمعنا من الهوان، لن تحدث أبدا، ذلك لأن زمن المعجزات قد توارى في الظلام البعيد. والمعجزة–الآن– إنما يجب أن ينبثق نورها من إيماننا العميق بالإصلاح، ذلك الإصلاح الذي يملأ المعد الجائعة بالخبز، والأدمغة الفارغة بالعلم الصحيح، والنفوس الحقيرة الخاملة بالرجولة، وبمعاني الكرامة والعزة الإسلامية»[٢].

إن تسويق بعض الخطابات لفكرة انتظار الخوارق لإنقاذ المسلمين. إنما هو تسويق للوهم والأسطورة، ولا أمل إلا في الثقة بالنفس والعقل والتجربة، تلك الثقة التي تستمد قوتها من حكمة الله، وعدالته، في خلق الأسباب والمسببات، وأنه أبدا لا يضيع أجر من أحسن عملا.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٥٣) برقم (٢٠٤٩)، من حديث سعد بن الربيع الأنصاري. كتاب البيوع، باب ما جاء في قول الله تعالى: {فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض } [الجمعة: ١١].

(٢) مجلة الرسالة/العدد ٩٤٣، مقالة نظرات في إصلاح الريف، عبد الرزاق الهلالي – علي محمد سرطاوي

الخاتمـــــة

أهم النتائج:

١-قدرة الله تعالى التي أوجدت النظام، قادرة على خرق قوانينه متى شاء الله. فالمعجزة ممكنة عقلا وشرعا بالقياس إلى القدرة الإلهية، لكن فرق بين الإمكان والوقوع، فلن يقع إلا إذا تعلقت الإرادة بوقوعه، أما إذا تعلقت الإرادة بعدم وقوعه فلن يقع، وعدم تعلق الإرادة بوقوعه لا يعني العجز أو النقص.

٢-حُكْمُنَا بأن ظاهرة ما خارقة للعادة، يعني أنها خارقة لتصورنا العقلي عن الكون، لكن لا يمكننا -بطريق علمي قاطع- الحكم إن كانت هذه الظاهرة خارقة لناموس الكون على الحقيقة أو لا.

٣-تصور التحدي في معجزات الأنبياء (الحسية) كتحدٍ لتصوراتنا العقلية دون اشتراط وقوع خرق حقيقي لنواميس الكون نفسه. تصور مقبول كلاميا، وعجز (التعقل والتصور) مع وجود دواعيه وأسبابه عند المعاندين للرسل، يؤكد صلاحيته في إثبات النبوة وصدق الرسول، وفي نفس الوقت يتوافق مع مباديء العلوم التجريبية.

٤-تكرار مثل خوارق الأنبياء ممكن عقلا كما ذهب المتكلمون، وهو إن كان ممكنا علميا إلا أنه يبقى متعذرًا صعب المنال. لأن المعرفة النظرية بالقوانين لا تضمن بالضرورة القدرة على تسخيرها بشكل عملي.

٥-مسألة اشتباه النبي بالعالم، لاشتباه الخارق بالعادي، قريبة من مسألة الاشتباه بين السحر والمعجزة، وترجح الدراسة أن المعجزات الحسية، قرينة لا تدل منفردة على ثبوت النبوة، ولابد أن يصاحبها العديد من الحجج الأخرى كحال الرسول، وطبيعة شريعته، وثمرة دعوته.

٦- المدرسة الأزهرية في علم الكلام قادرة على توليد الأفكار الجديدة سواء من خلال نموذجها التراثي عند الاشاعرة أو نموذجها الحديث عند علماء مدرسة الإصلاح والتجديد.

٧- تطور نوع المعجزات كان يتناسب مع مستوى الإدراك الحضاري للبشرية. ففي مراحل الطفولة، كانت المعجزات الحسية هي الأنسب، بينما في مراحل النضج الحضاري، حيث تطورت القدرات العقلية، أصبحت المعجزات العقلية مثل القرآن الكريم هي الأنسب.

٨- محاولات علماء مدرسة الإصلاح والتجديد الأزهرية لتقديم تفسيرات علمية للمعجزات ليست إنكارًا لها، بل تهدف للتوفيق بين الدين والعلم، وتعزيز قيمة السعي والعمل في بناء النهضة. هذه التفسيرات تدعم فكرة أن العقل البشري قادر على التقدم بدون الحاجة إلى الخوارق.

٩- المذهب الذي يرى أن العادة المبتدأة أو المكررة تثبت النبوة، مذهب يتوافق مع مناهج العلوم ويحافظ على قوة المعجزة كدليل على النبوة. حيث إن تكرار الظواهر الكونية على فترات زمنية يشير إلى نمط طبيعي يمكن تفسيره علميًا. ومن الناحية الدينية، فإن وقوع المعجزة في وقت ومكان معيَّنَيْن على يد نبي معيَّن يُعَزِّز دلالتها على صدق الرسول، ويظهرها كجزء من نظام الله الثابت في الكون، دون أن ينفي قدرة الله على التصرف وفق إرادته.

أهم التوصيات:

١- ضرورة إجراء المزيد من الدراسات التي تستكشف الحدود الفاصلة بين الإدراك البشري المحدود والحقائق الكونية الثابتة، لتعميق الفهم حول ما إذا كانت المعجزات خرقًا فعليًا لنواميس الكون أو لتصورات العقل البشرية.

٢- ضرورة الاستفادة من التراث الفكري والعلمي لعلماء الأزهر، سواء من خلال النموذج التقليدي للأشاعرة أو النموذج الحديث لمدرسة الإصلاح والتجديد، بهدف توليد أفكار جديدة ومعاصرة حول التفسير السببي للمعجزات. وتقديم خطاب ديني جديد يتناسب مع تحديات الحداثة.

٣- تصميم مناهج تعليمية تدمج بين الفلسفة والعلم والدين لتقديم مُقَارَبَة شاملة ومتوازنة حول المفاهيم الدينية والعلمية، وتعزيز الفهم النقدي والتفكير التحليلي لدى الطلاب حول المعجزات والظواهر الخارقة.

٤- يوصى بدراسة تأثير الثقافات والمعتقدات المختلفة على تفسير المعجزات. ويمكن أن يسهم ذلك في تقديم تفسيرات أكثر شمولية تأخذ بعين الاعتبار التنوع الثقافي والديني.

٥- ضرورة العمل على تقديم نماذج تفسيرية جديدة للمعجزات تعتمد على الأبحاث الحديثة في العلوم والفلسفة. إذ يمكن أن يساعد ذلك في تقديم تفسيرات أكثر قبولًا من قبل المجتمع العلمي والديني على حد سواء.

أهم مصادر ومراجع البحث

١- القرآن الكريم ومصادر السنة النبوية المطهرة.

٢- أبكار الأفكار في أصول الدين: الإمام الآمدي، تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهدي، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب والآثار القومية، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٣- الإتقان في علوم القرآن: الإمام السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

٤- اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه: تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، الطبعة الأولى، دار النوادر، دمشق – سوريا، ٢٠١٤م.

٥- الارشاد للإمام الجويني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦ هـ.

٦- الأسماء والصفات: الإمام البيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، الطبعة الأولى، مكتبة السوادي، جدة.

٧- الاصول الخمسة: القاضي عبد الجبار، تعليق: أحمد بن أبي هاشم، تحقيق: د عبد الكريم عثمان، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م، مكتبة الناشر، مصر.

٨- البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة: الإمام الباقلاني، نشرة: الأب ريتشارد يوسف اليسوعي، بغداد: منشورات الحكمة، توزيع بيروت: المكتبة الشرقية ساحة النجمة، ١٩٥٨م.

٩- التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور، د.ط، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م.

١٠- التحقيق التام في علم الكلام: محمد الحسيني الظواهري، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٣٩م.

١١- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: الإمام فخر الدين الرازي، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٢- تفسير الراغب الأصفهاني: تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، ط١، كلية الآداب – جامعة طنطا، ١٩٩٩ م.

١٣- تفسير المنار: الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١٤- تلخيص المحصل: الخواجة نصير الدين الطوسي، ط٢، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٥م.

١٥- تهافت التهافت: ابن رشد، تقديم وتحليل الدكتور محمد عابد الجابري، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨م.

١٦- تهافت الفلاسفة: الإمام الغزالي، تحقيق الدكتور سليمان دنيا، ط٦، دار المعارف، مصر.

١٧- التوحيد: الشيخ محمد عبده، د.ط، دار الكتاب العربي، د.ن.

١٨- حاشية الدسوقي على ام البراهين: لشيخ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، مطبعة عيسى بابي الحلبي.

١٩- حوار مع صديقي الملحد: الدكتور مصطفى محمود، دراسة وتقديم وتعليق د.محمد عمارة، منشورات مجمع البحوث الإسلامية، الازهر الشريف، ٢٠١٧م.

٢٠- حواش في شرح الكبرى للسنوسي: الشيخ اسماعيل بن موسى بن عثمان الحامدي، ط١، مطبعة مصطفى بابلي الحلبي، ١٩٣٦م.

٢١- الخلاصة اللاهوتية: توما الإكويني، ترجمة الخوري بولس عواد، جـ ٣، صـ ١٦، المطبعة الأدبية-بيروت-١٨٦١م.

٢٢- دارة معارف القرن العشرين: الأستاذ محمد فريد وجدي، دار الفكر، بيروت.

٢٣- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر «مقدمة ابن خلدون»: عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨ م.

٢٤- الرسالة القشيرية: الإمام: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة

٢٥- رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٦م.

٢٦- الشامل في أصول الدين: الإمام الجويني، تحقيق: علي سامي النشار، فيصل بدير عون، سهير محمد مختار، د.ط. منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٦٩م.

٢٧- شرح الإرشاد في أصول الاعتقاد: مظفر بن عبد الله المصري المشهور بالمقترح، دراسة وتحقيق: الدكتورة نزيهة معاريج، مركز أبي الحسن الأشعري، للدراسات والبحوث العقدية، سلسلة ذخائر من تراث الأشعري.

٢٨- شرح المقاصد في علم الكلام: سعد الدين التفتازاني، الطبعة الأولى، دار المعارف النعمانية، باكستان، ١٩٨١م.

٢٩- شرح المواقف: السيد الشريف الجرجاني، الطبعة الأولى، دار الجليل، لبنان، ١٩٩٧م.

٣٠- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف عبد الله، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، ١٩٩٩ م.

٣١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين.

٣٢- ضوابط الفكر: د. محمد ربيع الجوهري، دار الإيمان، القاهرة.

٣٣- العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية: أبي عمر عثمان السلاجي، تحقيق: نزار حمادي، الطبعة الأولى، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر بيروت لبنان، ٢٠٠٨م.

٣٤- العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية: الإمام الجويني، تحقيق: الدكتور: محمد الزبيدي، دار سبيل الرشاد، بيروت.

٣٥- عمدة المريد شرح جوهرة التوحيد: برهان الدين أبي الأمداد إبراهيم اللقاني، تحقيق: محمد يوسف ادريس -بهاء أحمد الخلاية -عبد المنان أحمد الإدريسي - جاد الله بسام صالح، الطبعة الأولى، دار النور المبين للنشر والتوزيع عمان - الأردن، ٢٠١٦م.

٣٦- عون المريد لشرح جوهرة التوحيد في عقيدة أهل السنة والجماعة، عبد الكريم تتان، محمد أديب الكيلاني، مراجعة وتقديم: الشيخ عبد الكريم الرّفاعي والشيخ وهبي سليمان غاوجي الألباني، ط٢، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.

٣٧- الفتاوى دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية والعامة: الشيخ محمود شلتوت: ط١٨، دار الشروق، ٢٠٠١م.

٣٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري: الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

٣٩- كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، د.ط. دار الفكر المعاصر ودار الفكر، بيروت- دمشق، د.ن.

٤٠- الكشف عن مناهج الأدلة: ابن رشد، تحقيق: د.محمود قاسم، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٤م

٤١- لوامع الأنوار البهية: شمس الدين السفاريني الحنبلي، ط٢، مؤسسة الخافقين، دمشق، ١٩٨٢م.

٤٢- مبادئ فلسفة ديكارت -أفكار ميتافيزيقية – مراسلات: سبينوزا، ترجمة جلال الدين سعيد، المركز القومي للترجمة، تونس، ٢٠١٥م.

٤٣- مجلة الرسالة/العدد ٩٤٣.

٤٤- محمد فريد وجدي: المدنية والإسلام، المكتبة التجارية الكبرى مصر ١٩٣٣م بدون رقم الطبعة.

٤٥- المختصر المفيد في شرح جوهرة التوحيد: نوح علي سلمان القضاة، ط١، دار الرازي، عمان الأردن، ١٩٩٩م.

٤٦- مصير البشرية: ليوكونت دي نوي، ترجمة أحمد عزت طه، وعصام أحم طه، الطبعة الثالثة، دار اليقظة العربية، دمشق، ١٩٦٣م.

٤٧- المطالب العالية من العلم الإلهي: الإمام الرازي، تحقيق الدّكتور أحمد حجازي السّقا، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٨٧م.

٤٨- معجزات الأنبياء بين العقل والعلم: محمد الصادق عرجون، مطبعة دار نشر الثقافة، مصر، ١٩٥٥م.

٤٩- المعجزة في فلسفة اسبينوزا: د.يحيى عبد العليم، المجلد الرابع من العدد الخامس والثلاثين لحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية.

٥٠- المغني في أبواب العدل والتوحيد، تحقيق أحمد فؤاد الأهواني وآخرون، مطبعة مصر، القاهرة، ط١، ١٣٨٢هـ.

٥١- المغني= الغنية في أصول الدين: الإمام أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد المأمون المتولي الشافعي.

٥٢- من العقيدة إلى الثورة النبوة – المعاد: د.حسن حنفي، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، مصر، ١٩٨٨م.

٥٣- المنتخب من كلام العرب: علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، تحقيق: د محمد بن أحمد العمري، ط١، جامعة أم القرى (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ١٩٨٩م.

٥٤- المنقذ من الضلال: الإمام الغزالي، تقديم وتعليق: الشيخ عبد الحليم محمود، د.ط، دار الكتب الحديثة، مصر، د.ن.

٥٥- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: الإمام النووي، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٣٩٢هـ.

٥٦- موسوعة الفلسفة: عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٨٤م.

٥٧- النبراس شرح شرح العقائد النسفية: العلامة محمد عبد العزيز الفرهاري، اعتنى به: أوقان قدير يلمزان، الطبعة الأولى، مكتبة ياسين، تركيا، ٢٠١٢م.

٥٨- النبوات: ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، ط١، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠م.

٥٩- نقد إشكالات هيوم على مفهوم المعجزة: رضا زيدان، مركز دلائل، ٢٠١٩م.

٦٠- نهاية الإقدام في علم الكلام: تحقيق: أحمد فريد المزيدي، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٥٤هـ.

٦١- نهاية المبتدين في أصول الدين: أحمد بن حمدان الحنبلي، تحقيق: نصار بن سعود بن عبد الله السلامة، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٤م.

٦٢- هداية المريد لجوهرة التوحيد: الشيخ إبراهيم اللقاني، تحقيق الشيخ محمد الخطيب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢م.

مصادر أجنبية:

1- Houston, Joseph, 1994, Reported Miracles: A Critique of Hume, Cambridge: Cambridge University Press.

2- Levine, Michael, 1989, Hume and the Problem of Miracles: A Solution, Dordrecht: Kluwer Publishers.

3- Why I Am Not a Christian and Other Essays on Religion and Related Subjects also viewed, Simon and Schuster, 1953

4- Popper, Karl. The Logic of Scientific Discovery. Routledge, 2002 (First published 1959).

مواقع الانترنت:

1- https://www.spacereference.org/comet/c-1999-f1-catalina

2- https://www.smithsonianmag.com/science-nature/earths-magnetic-field-could-take-longer-flip-previously-thought-180972843/

3- https://www.physicsclassroom.com/class/estatics/Lesson-4/Lightning

4- https://www.sciencelearn.org.nz/resources/239-lightning-explained

5- https://education.nationalgeographic.org/resource/lightning/

6- https://www.thoughtco.com/james-clerk-maxwell-inventor-1991689

7- https://www.britannica.com/biography/James-Clerk-Maxwell

References

1- The Holy Quran and the sources of the Sunn ah

2- At-Tahrir wa At-Tanweer: At-Tahir Ibn Ashour, Ad-Dar At-Tunisiyyah, Tunisia, 1984AD.

3- At-Tahqiq At-Taam fi Elm Al-Kalam: Muhammad Al-Husseini Al-Zawahiri, First Edition, Al-Nahda Egyptian Library, 1939 AD.

4- Tafsir Ar-Razi: Imam Fakhr Al-Din Ar-Razi, Third Edition, Dar Ihyaa At-Turath Al-Arabi – Beirut, 1420AH.

5- Tafsir Ar-Ragheb Al-Isfahani: 1st Edition, Faculty of Arts - Tanta University, 1999.

6- Tafsir Al-Manar: Sheikh Muhammad Abdo, and Sheikh Muhammad Rashid Reda, Egyptian General Book Organization, 1990AD.

7- Ibn Rushd, Tahfut At-Tahafut by Dr. Mohammed Abed Al-Jabri, 1st Edition, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 1998.

8- Tahafut Al-Falasifah: Imam Al-Ghazali, 6th Edition, Dar Al-Maarif, Egypt.

9- Hiwar Maa Sadiqi Al-Mulhed: Dr. Mustafa Mahmoud, Study, Presentation and Commentary by Dr. Mohammed Amara, Publications of the Islamic Research Complex, Al-Azhar Al-Sharif, 2017AD.

10- As-Sihah, Taj Al-Lughah wa Sihah Al-Arabiyyah: Abu Nasr Ismail Al-Johari, Dar El Ilm Lilmalayin.

11- Dawabet Al-Fikr: Dr. Mohammed Rabie Al-Jawhari, Dar Al-Iman, Cairo.

12- Houston, Joseph, 1994, Reported Miracles: A Critique of Hume, Cambridge: Cambridge University Press.

13- Levine, Michael, 1989, Hume and the Problem of Miracles: A Solution, Dordrecht: Kluwer Publishers.

14- Why I Am Not a Christian and Other Essays on Religion and Related Subjects also viewed, Simon and Schuster, 1953

15- Popper, Karl. The Logic of Scientific Discovery. Routledge, 2002 (First published 1959).

Internet sites...

1- https://www.spacereference.org/comet/c-1999-f1-catalina
2- https://www.smithsonianmag.com/science-nature/earths-magnetic-field-could-take-longer-flip-previously-thought-180972843/
3- https://www.physicsclassroom.com/class/estatics/Lesson-4/Lightning
4- https://www.sciencelearn.org.nz/resources/239-lightning-explained
5- https://education.nationalgeographic.org/resource/doggerland/
6- https://www.thoughtco.com/james-clerk-maxwell-inventor-1991689
7- https://www.britannica.com/biography/James-Clerk-Maxwell

فهرس الموضوعات

م	الموضوعات
١	**المبحث الأول: المعجزة، مفهومها وإمكانها، وأهم الانتقادات لحجيتها**
٢	المسألة الأولى: تعريف المعجزة.
٣	المسألة الثانية: إمكان التدخل الإلهي بالمعجزات وخرق العادات.
٤	المسألة الثالثة: حجية المعجزة، وتحديات التحقق، والثبوت، والدلالة.
٥	المسألة الرابعة: أثر الاعتراضات على حجية المعجزة في الاجتهاد الكلامي والفلسفي.
٦	**المبحث الثاني: المعجزات قراءة جديدة للتصور الكلامي.**
٧	المسألة الأولى: حول مفهوم العادة وخرقها.
٨	المسألة الثانية: عادة من؟ هل يمكن تقديم جواب يتوافق مع مباديء العلوم، وفي نفس الوقت يحفظ للمعجزة حجيتها على ثبوت النبوة؟
٩	المسألة الثالثة: مدى صلاحية العادة المبتدأة أو المكررة في الدلالة على صدق الرسول.
١٠	السألة الرابعة: مدى إمكان أن يكون الإعجاز بخرق تصورات العقل، لا ناموس الكون!
١١	**المبحث الثالث: الظواهر الخارقة وإمكانية التفسير السببي والموافقة لقوانين الطبيعة**
١٢	المسألة الأولى: خوارق العادات وأسبابها.
١٣	المسألة الثانية: المعجزات وخضوعها لقوانين الطبيعة.
١٤	المسألة الثالثة: اشتباه النبي بالعالم، نتيجة اشتباه الخارق بالمعتاد لخضوعهما معا للقانون الطبيعي!

م	الموضوعات
١٥	المسألة الرابعة: هل يمكن للعلم أن يتقبل وجود الظواهر الخارقة؟
١٦	**المبحث الرابع: خوارق العادات وأطوار الحضارة الإنسانية**
١٧	أولا: طفولة النوع الإنساني.
١٨	ثانيا: طور النضج والرجولة.
١٩	هل الأنبياء في طور طفولة الحضارة، كانوا مثل غيرهم من البدائيين ذوي تصورات ساذجة ؟
٢٠	هل الخوارق التي جعلها الله تعالى دليلا على تصديق الرسل، كانت على نفس النوع في كلا الطورين من تطور الحضارة؟ أم أن لكل طور من أطوار الحضارة ما يناسبه من خوارق ومعجزات؟
٢١	أ: الخوارق الحسية، وطور الطفولة الحضارية.
٢٢	فكيف ساعدت الخوارق الحسية الأنبياء في تبليغ رسالتهم إبان هذه الفترة؟.
٢٣	ب: الخوارق، وطور النضج الحضاري:
٢٤	القول بتقديم المعجزات العقلية على المعجزات الحسية.
٢٥	كيف يقال انتهت الخوارق الحسية بالبعثة، وقد ثبت في الأخبار أن للنبيﷺ معجزات حسية؟! وكيف تكون بعثة النبي ﷺ فاصلا بين طوري الحضارة «الطفولة والنضج»، وقد ثبت أن للأنبياء السابقين معجزات عقلية تمثلت في كتبهم الإلهية المقدسة «التوراة والإنجيل»؟!